مجلة إسلامية ثقافية شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد

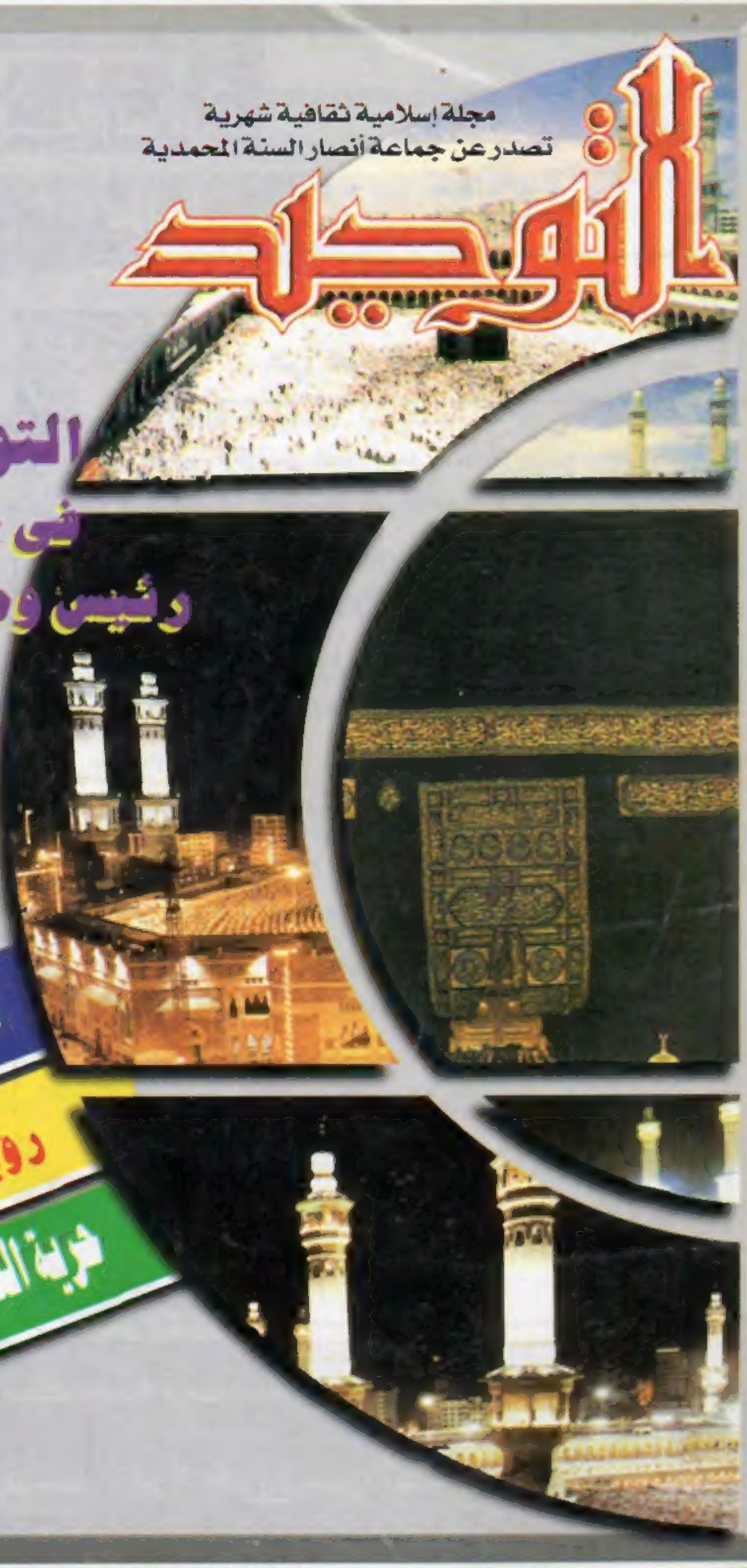

التوحيد: في حوار مع رئيس ومفتي الشيشان

عمر الأمة

رؤية النبي ﷺ في النوم

حرية النشر وحرية الاستهزاء بدين الله

السنة السادسة والعشرون. العدد الثالث. ربيع أول ١٤١٨هـ الثمن ٧٥ قرشا

بسم الله الرحمن الرحيم

التوحيد

صاحبة الامتياز جماعة أنصار السنة المحمدية
المركز العام القاهرة ٨ شارع قوله - عابدين
هاتف : ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

في هذا العدد

الافتتاحية : الرئيس العام «عمر الأمة» ٢
كلمة التحرير : رئيس التحرير «النخيل» ٦
التفسير : الشيخ عبد العظيم بدوي «قانون الأخلاق» ١٠
باب السنة : الرئيس العام «رؤية النبي ﷺ في المنام» ١٤
تحقيقات التوحيد : حوار التوحيد مع رئيس ومفتي الشيشان ٢٠
أسئلة القراء عن الأحاديث : الشيخ أبو إسحاق الحويني ٢٦
الفتاوى : ٣٠
عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة : أ/ محمود المراكبي ٣٦
قصيدة : «إلى أطفال الحجارة» د/ عطية عبد المقصود ٤٢
باب السيرة : «فوائد مجموعة من قصة إبراهيم عليه السلام» ٤٣
باب التراجم : الشيخ فتحي أمين عثمان «الشيخ عبد العزيز راشد» ٤٦
حرية النشر وحرية الاستهزاء بدين الله : الشيخ مصطفى درويش ٤٩
للذين استجابوا لربهم الحسنى : الشيخ أحمد طه نصر ٥٣
من روائع الماضي : أخسر الناس أعمالا أ/ محمد أحمد باشميل ٥٦
مناظرة في رفع اليدين في تكبيرات الجنازة :
الشيخ/ وحيد عبد السلام بالي ٦٠

مجلة
إسلامية
ثقافية
شهرية

التحرير

٨ شارع قوله
عابدين القاهرة
ت ٣٩٣٦٥١٧
فاكس ٣٩٣٠٦٦٢

التوزيع في الخارج : مكتبة المؤيد بالرياض.
التوزيع الداخلي : مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة.

الطالبات يدرسهن نساء لأن في تدريس الرجال لهن فتنة

رابعة العدوية امرأة صوفية

المشروع قبل صلاة الجمعة الاشتغال بصلاة النافلة أو تلاوة القرآن

●● يسأل : أسامة محمود فرغلي محمد - كلية الآداب - جامعة المنيا - يقول :

١- عندنا في الكلية (كلية الآداب قسم اللغة العربية بالمنيا) دكتور الدراسات الإسلامية يقوم في المحاضرة بتسميع القرآن على الطالبات اللاتي تحفظن المقرر من القرآن ، فهل يجوز ذلك مع العلم أنه قال : إن هذا من باب طلب العلم ويجوز ولا حرج ؛ مستدلاً بأن النساء كانت تستفتين الرسول - صلى الله عليه وسلم وتسألنه في المسجد عن الدين ؟ ونريد الدليل ؟

٢- كثرت الآراء حول "رابعة العدوية" فهل هي شخصية حقيقية ، وإذا كانت كذلك فهل كل ما يُقال عنها صحيح ؟

٣- في يوم الجمعة وقبل الصلاة يفتح بعض المصلين المذياع على إذاعة القرآن الكريم ، فهل هذا من البدع أم لا مع الأدلة الوافية ؟

● الجواب : ١- الطالبات يدرسهن نساء ؛ لأن في تدريس الرجال لهن فتنة وشرورًا كثيرة ، والإسلام جاء بسد الوسائل التي تفضي إلى شرور ، ومجرد سؤال النساء للرسول صلى الله عليه وسلم يختلف عن التدريس ؛ لأن السؤال وقته محدد لا محذور فيه بخلاف التدريس . فإن وقته يطول ، وهناك فرق بين الصحابيات وبين نساء هذا الوقت .

٢- رابعة العدوية امرأة صوفية ولها أخبار في التصوف وعبارات غير مرضية .

٣- المشروع قبل صلاة الجمعة الاشتغال بصلاة النافلة أو تلاوة القرآن فرادى أو الاشتغال بذكر الله سبحانه وتعالى فرادى أيضًا حتى يحضر الإمام للخطبة . أما فتح المذياع على التسجيل أو على الإذاعة فإنه يفوت على الحاضرين استغلال الوقت في العبادة .

●● السائل : م . ع . أ . كفر الشيخ - مطوبس - يقول :

أنا شاب عمري ٢٢ سنة وأريد الزواج من فتاة قد رضعتُ مع أختها منذ طفولتي ، مع العلم أني قد رضعت معها مرة واحدة فقط ، فهل يجوز لي الزواج منها أم لا ؟

● الجواب : إذا كنت رضعت من أم هذه الفتاة أو من زوجة أبيها فإنه لا يحل لك الزواج بإحدى أخواتها ، أما إن كنت رضعت معها من امرأة أجنبية منها فلا بأس أن تتزوج من أخواتها ؛ لأن التحريم حينئذ يختص بها وحدها .

□ ضمة القبر من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله □

●● يسأل : الأخ شعبان محمد عبد الواحد عن الأسئلة الآتية ؟

١- عن ضمة القبر للكافر والمؤمن ، وأن ضمة القبر للكافر تختلف فيه أضلاعه ، أما المؤمن فضمة القبر له كضمة الأم لوليدها ، وما هو الصحيح في ذلك ؟

٢- في رحلة المعراج هل صح أن جبريل ، عليه السلام ، لما ترك النبي صلى الله عليه وسلم واستوحش من هيبة المكان نزل الله سبحانه وتعالى من كرسيه وقابل الرسول صلى الله عليه وسلم في مكانه ؟

٣- هل ختام الصلاة تكون بعد الانتهاء من صلاة الفرض أم بعد الانتهاء من سنة الفرض ؟

٤- رجل يحفظ القرآن الكريم ولا يجيد أحكام التجويد ، ورجل آخر يحفظ جزءًا واحدًا من القرآن بأحكام التجويد بإتقان فمن منهم يتقدم للإمامة ؟

● الجواب : ١- ضمة القبر من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله سبحانه ، وهي في حق المنافق والمرتاب ، أما المؤمن الصادق فإنه يوسع عليه قبره مد بصره .

٢- هذا من الكذب على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، فالواجب إنكاره .

٣- ختام الصلاة يكون بالسلام منها لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « وتحليلها التسليم » .

٤- يقدم للإمامة الأكثر حفظًا للقرآن الكريم ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « يؤم القوم أكثرهم أخذًا للقرآن » بشرط أن لا يلحن في القراءة ، ولو لم يكن عارفًا بأحكام التجويد .

* * *

□ رد السلام على الإمام عند ارتقائه المنبر مشروع □

●● ويسأل : محمد جمعة الصباغ - قلين - كفر الشيخ :

كثرت الأقاويل حول قول : آمين خلف الإمام وهو على المنبر أو رد السلام عندما يصعد على المنبر أول الخطبة . ذهب بعض العلماء إلى أنه واجب أن ترد على الإمام السلام وتردد قول آمين عند الدعاء ، واستندوا إلى أن الرجل عندما يدخل المسجد والإمام على المنبر لا بد أن يصلي ركعتين خفيفتين . وذهب البعض الآخر إلى أن ذلك يفسد الجمعة واستندوا إلى قول الحديث : "من قال لأخيه : صه والإمام على المنبر بطلت صلاته " . فنريد الرأي الصحيح فيها . وهل لو ذُكر الرسول صلى الله عليه وسلم نصلي على الرسول في سرنا أم نرفع أصواتنا شيئًا قليلاً ؟

● **الجواب :** يُشرع رد السلام على الإمام إذا صعد المنبر وسلم بدون رفع صوت ، لعموم الأمر برد السلام ، وكذا يشرع التأمين على دعاء الإمام في الخطبة ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما رفع يديه على المنبر ودعا بالاستسقاء رفع الناس أيديهم وأمنوا على دعائه .

لا تجب الزكاة في الأرض المؤجرة

●● **يسأل : محمد محمد إبراهيم أبو الغيط - فاقوس - شرقية عن :**

أولاً : رجل حَلف على زوجته ثلاثة أيمان طلاق على فترات مختلفة ، وكان بينهما خلاف ، وقبل وفاته لم تكن في منزله ، ولكن حضرت إلى بيتها في ساعة احتضار زوجها ، وطلبوا منه مسامحة زوجته ، فلم تخرج منه كلمة السماح ، إلاّ بعد تدخل أولاده والمحيطين به ونحيطكم علمًا بأن هذين الزوجين كانا على خلاف مستمر ، وهذه الزوجة لم تُطلق على يد مأذون ، فهل ترث هذه الزوجة في زوجها المتوفَّى ؟ علمًا بأن هذا الزوج المتوفَّى له ابن من زوجة أخرى ؟

ثانيًا : كيف يتم إخراج زكاة الأرض المؤجرة علمًا بأننا نستأجر قطعة من الأرض ولا نعرف هل تخرج الزكاة بعد حساب قيمة الإيجار أم قبل حساب قيمة الإيجار ؟

● **الجواب :** ما يختص بطلاق الزوج المتوفى تراجع فيه المحكمة الشرعية ، فإذا ثبت لديها الطلاق فلا إرث وإلا فالأصل التوريث .

وما يختص بزكاة الأرض المؤجرة فالزكاة إنما تجب في الأرض المعدة للبيع ، أما التي تؤجر فلا زكاة فيها ، وإنما الزكاة تجب في إيجارها إذا بلغ النصاب وحال عليه الحول ابتداءً من العقد .

●● **يسأل : ش . أ . ز . الدراسة - الجمالية - القاهرة :**

١- ماذا أفعل لو ركع الإمام في الصلاة السرية قبل أن أكمل قراءة الفاتحة ، وإذا كانت الصلاة جهرية ولم يترك الإمام وقتًا لأقرأ الفاتحة ماذا أفعل؟

٢- أحب دائمًا أن أحافظ على السنة في الوضوء فأبالغ في غسل اليدين حتى أكاد أصل إلى الكتف وفي غسل الرجلين حتى أكاد أصل إلى الركبة وبالتالي يأخذ الوضوء ككل وقتًا طويلاً نسبيًا مما أثار حفيظة بعض الإخوة فنصحوني أن هذا التطويل من وسوسة الشيطان فما الحكم في ذلك ؟ وما هو الوقت الأمثل تقريبًا لتحقيق الوضوء الكامل المطابق لهدي النبي صلى اللّـه عليه وسلم؟

● **الجواب :** ١- إذا ركع الإمام فاركع معه ولو لم تقرأ الفاتحة لقول النبي صلى اللّـه عليه وسلم : “ إنما جعل الإمام ليؤتم به ” إلى قوله : “ وإذا ركع فاركعوا ” . الحديث ، وقراءة الفاتحة تسقط عن المأموم في هذه الحالة .

٢- هذا الذي تفعله في الوضوء من الزيادة على المشروع في غسل الرجلين واليدين هو بدعة وغلو ممقوت ، فالواجب عليك الاقتصار على ما فرض اللّه غسله في اليدين إلى المرفقين ، والرجلين إلى الكعبين .

الحلقة الرابعة

عقائد الصوفية
في ضوء الكتاب والسنة

الحلاج درويش صوفي أم باطني خبيث؟

الحمد لله الذي أنزل على عبده الفرقان ليكون للعالمين نذيرا ، واصطفاه للناس معلما ، واجتباه للأنبياء والمرسلين إماما ، وأقامه للموحدين دليلا . فالفائز من سار على هديه ، والخاسر من اتبع كل ناعق وتولى عن سنته . وصلّ اللهم عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد ؛ فقد تتبعنا في الحلقات السابقة مسار التصوف حتى وصلنا اليوم إلى منعطف خطير وظاهرة جلية من ظواهر اختلف الناس حولها اختلافًا كبيرًا ؛ ألا وهي الحلاج ، وما يعنينا من أمره هو اقتفاء أثره لبيان دوره في انحراف التصوف ، ونتبين ذلك حين نقرأ ترجمة الحافظ ابن كثير للحلاج ، والتي بدأها بقوله : (ونحن نعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يكن قاله ، أو نتحمل عليه في أقواله وأفعاله ، فنقول : هو الحسين بن منصور بن محمي الحلاج ، أبو مغيث ، ويقال : أبو عبد الله ، كان جده مجوسيًا ، اسمه محمي ، من أهل فارس من بلدة يقال لها : البيضاء ، ونشأ بواسط ، ويقال : بتستر ، ودخل بغداد ، وتردد على مكة وجاور بها في وسط المسجد في البرد والحر ، مكث على ذلك سنوات متفرقة ، وكان يصابر نفسه ويجاهدها ، ولا يأكل إلا بعض قرص ، ويشرب قليلاً من الماء معه وقت الفطور مدة سنة كاملة ، وكان يجلس على صخرة في شدة الحر في جبل أبي قبيس ، وقد صحب جماعة من سادات المشايخ الصوفية ؛ كالجنيد بن محمد ، وعمرو بن عثمان المكي ، وأبي الحسين النوري .

قال الخطيب البغدادي : والصوفية مختلفون فيه ، فأكثرهم نفوا أن يكون الحلاج منهم ، وأبى أن يعدّه فيهم ، وقبله من متقدميهم : أبو العباس بن عطاء البغدادي ، ومحمد بن خفيف الشيرازي ، وإبراهيم بن النصراباذي ، وصححوا له حاله ، ودونوا كلامه ، حتى قال ابن الخفيف : الحسن بن منصور الحلاج عالم رباني ، وقال إبراهيم النصراباذي : إن كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج ، وسُمع الشبلي يقول : كنت أنا والحلاج شيئا واحدًا ، إلا أنه أظهر وكتمت ، كما صح أنه دخل الهند وتعلم بها السحر ، وقال : أدعو به إلى الله ، وكان أهل الهند يكاتبونه بالمغيث ، ويكاتبه أهل سركستان بالمقيت ، ويكاتبه أهل خراسان بالمميز ، وأهل فارس بأبي عبد الله الزاهد ، وأهل خوزستان بأبي عبد الله الزاهد حلاج الأسرار) .

ويروي ابن الجوزي في « المنتظم » وابن كثير في « البداية والنهاية » كثيرًا من حيل الحلاج وسحره وشعوذته ، فقد كان داهية واسع الحيلة ، ومبتدعًا خطيرًا أثرت مزاعمه في مجتمعه ، وأحدثت فتنًا هائلة .

ويشرح الشعراني أحوال الحلاج بقوله : إن عمرو بن عثمان المكي رأى الحسين الحلاج يومًا وهو يكتب شيئا ، فقال : ما هذا ؟ فقال الحلاج : أعارض القرآن – أي ؛ يكتب كالقرآن – فدعا عليه وهجره . قال الشيوخ : فالذي أصاب الحلاج وحل به من البلاء كان من ذلك الدعاء .

وقتل حسين الحلاج بدعوة عمرو بن عثمان المكي ؛ وذلك أنه كان عنده جزء فيه علوم الخاصة من القوم ، فأخذه الحسين ، فقال عمرو : من أخذ هذا الكتاب قطعت يداه ورجلاه ، فكان كذلك ، وإنما كان القول بتكفيره تسترًا على دعوة عمرو .

• ويشرح الشعراني كيف قُتل الحلاج فيقول : فأمر بالحلاج وضرب ألف سوط ، فلم يتأوه ، وقطعت يداه ورجلاه وصلب ، ثم أحرق بالنار ، ووقع الاختلاف فيه بين الناس أهو الذي صُلب أم رُفع ، كما وقع في عيسى ابن مريم ، عليه السلام .

وهكذا جاءت نهايته سنة ٣٠٠ هـ ؛ حيث قُبض عليه ونودي عليه : هذا أحد دعاة القرامطة فاعرفوه ، ثم حُبس فضُرب ألف سوط ، ثم قطعت يده ، ثم رجله ، وحُز رأسه ، وأُحرقت جثته ، فاستراح الناس من فساده ، وتمنوا أن تدفن معه أفكاره، ولكن شاءت إرادة الله تعالى أن تبقى أفكاره فتنة للناس ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حيّ عن بينة ، قال تعالى على لسان موسى الكليم ، عليه السلام : ﴿ إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾ [الأعراف : ١٥٥] .

* دفاع الحلاج عن إبليس :

يتحدث الحلاج عن شيخه إبليس بحب شديد ، وإعجاب مفرط ، وامتنان عظيم ، فهو يراه الموحد الحقيقي في هذا الكون ، ويعترف بفضله قائلا :

١– ما صحت الدعاوى لأحد إلا إبليس ، وأحمد صلى الله عليه وسلم كشف له عين العين ، قيل لإبليس : اسجد ، ولأحمد : انظر ، هذا ما سجد ، وأحمد ما نظر ما التفت يمينا ولا شمالاً : ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ [النجم : ١٧] .

٢– ويقول الحلاج : التقى موسى بن عمران وإبليس على عقبة الطور ، فقال له : يا إبليس ما منعك عن السجود ؟ فقال : منعني الدعوة بمعبود واحد ، ولو سجدت له لكنت مثلك ، فأنت نوديت مرة واحدة انظر إلى الجبل ، فنظرت ، ونوديت أنا ألف مرة أن اسجد فما سجدت لدعواى بمعناي .

٣– ومن شطحات الحلاج العجيبة أنه قال : وما كان في أهل السماء موحّد مثل إبليس .

٤– ويعترف الحلاج بفضل إبليس عليه فيقول : فصاحبي وأستاذي إبليس وفرعون ، إبليس هُدد بالنار ، وما رجع عن دعواه ، وفرعون أغرق في اليم وما رجع عن دعواه ، ولم يقر بالواسطة البتة ، وإن قتلت أو صلبت أو قطعت يدي ورجلاي ما رجعت عن دعواي .

* الحلاج والباطنية :

إن من الأخبار المنقولة عن الحلاج ، ما يؤكد العلاقة الوثيقة بينه وبين الباطنية ؛ لذا تراه يدعو إلى أنواع جديدة من العبادات ، يهدم بها أركان الإسلام ، ومن العبادات التي دعا إليها الحلاج ؛ إذا صام الإنسان ثلاثة أيام بلياليها ولم يفطر ، وأخذ في اليوم الرابع ورقات هندباء وأفطر عليها ، أغناه الله عن صوم رمضان ، وإذا صلى في ليلة واحدة ركعتين من أول الليل إلى الغداة أغنته عن الصلاة بعد ذلك .

كما أعلن عن فكرة الحج بالهمة ، حيث يكفي المرء أن يعقد نيته ويستجمع همته فينال ثواب الحج دون أن يرهق نفسه بالسفر وانتقال الأجسام إلى البلد الحرام ، ويقول الحلاج : إذا بنى بيتا وصام أيامًا ، ثم طاف حوله عريانًا ، أغناه عن الحج .

وكان الحلاج من أوائل دعاة الباطنية في التدرج بالدعوة من رجة إلى أخرى ، واستخدم الرمز في خطاب الأتباع ، فتراه يجدد أسلوبه في دعوة الناس عن طريق نقلهم من حال إلى حال أخرى ، ومرتبة إلى مرتبة حتى يبلغوا الغاية القصوى ، وأن يخاطبوا كل قوم على حسب عقولهم وأفهامهم وعلى قدر استجابتهم وانقيادهم .

* الإيمان والكفر عند الحلاج :

يعرفنا الحلاج بأفكاره عن حقيقة الإيمان ، وماهية الكفر عنده ، من خلال مجموعة من أقواله نختارها من كتبه :

١- ويروى عن عبد الودود بن سعيد الزاهد قال : دخلت على الحلاج فقلت له : دلني على التوحيد ؟ فقال : التوحيد خارج عن الكلمة حتى يعبر عنه ، قلت : فما معنى لا إله إلا الله ؟ قال : كلمة شغل بها العامة لئلا يختلطوا بأهل التوحيد ، وهذا شرح التوحيد من وراء الشرح ، ثم احمرت وجنتاه وقال : أقول لك : مجملاً ؟ قلت : بلى ، قال : من زعم أنه يوحد الله فقد أشرك .

٢- يقول ابن أخت الحلاج : رأيت بخط خالي : من فرق بين الكفر والإيمان فقد كفر ، ومن لم يفرق بين الكافر والمؤمن فقد كفر .

٣- يقول في موضع آخر من طواسينه : الكفر والإيمان يفترقان من حيث الاسم ، وأما من حيث الحقيقة فلا فرق بينهما .

٤- وقال الحلاج : حجبهم الاسم فعاشوا ، ولو أبرز لهم علوم القدرة لطاشوا ، ولو كشف لهم الحجاب عن الحقيقة لماتوا.

٥- ويروي أبو نصر بن قاسم البيضاوي أنه رأى رقعة بخط الحلاج عند بعض تلامذته مكتوب فيها : اعلم أن المرء قائم على بساط الشريعة ، ما لم يصل إلى مواقف التوحيد ، فإن وصل إليها سقطت من عينه الشريعة ، واشتغل باللوائح الطالعة من معدن الصدق ، فإذا ترادفت عليه اللوائح ، وتتابعت عليه الطوالع ، صار التوحيد عنده زندقة ، والشريعة عنده هوسًا ، فبقي بلا عين ولا أثر ، وإن استعمل الشريعة استعملها رسمًا ، وإن نطق بالتوحيد نطق به غلبة وقهرًا .

٦- وكتب الحلاج لأحد تلامذته فقال : السلام عليك يا ولدي ، ستر الله عنك ظاهر الشريعة ، وكشف لك حقيقة الكفر ، فإن ظاهر الشريعة كفر محض ، وحقيقة الكفر معرفة جلية .

٧- ويعتقد الحلاج في وحدة الأديان ، فتراه يقول يومًا لعبد الله بن طاهر الأزدي : الأديان كلها لله ، عز وجل ، شغل بكل دين طائفة ، لا اختيارًا منهم ، بل اختيارًا عنهم ، فمن لام أحدًا ببطلان ما هو عليه ، فقد حكم أنه اختار ذلك لنفسه – هذا مذهب القدرية ، والقدرية مجوس الأمة – واعلم أن اليهودية والنصرانية والإسلام وغير ذلك من الأديان هي ألقاب مختلفة ، وأسام متغايرة ، والمقصود منها لا يتغير ولا يختلف .

٨- يقول الحلاج : إنني أُنْكِرُ دين الله ، فهذا فرض عليَّ ، وأما إنكار العامة له فخطيئة .

* الحلاج والحلول :

غالبًا ما يبدأ الانحراف بالقول بالفناء والبقاء ، فقد خطب الحلاج يومًا في جامع المنصور فقال : أيها الناس إذا استولى الحق على عبد أخلاه من غيره ، وإذا لازم أحدًا أفناه عمن سواه ، وإذا أحب عبدًا حث عباده بالعدوان عليه ، حتى يتقرب العبد مقبلاً عليه .

وقال العطار : قلت : ها أنذا قد فنيت ، قال – أي الله ، عز وجل –: كذلك منحتك البقاء ، حين ترى نفسك عندما أهبك وجودًا لا يتصور ، ثم يتطور الفناء إلى الشطط ، فقد قال الحلاج ، ليس يتركني – يعني الله – ونفسي فأنسى ، وليس يأخذني من نفسي فأستريح منها ، وهذا دلال لا أطيقه ، وأنشد قائلا :

هويت بكلي كل كلك يا قدسي
تكاشفني حتى كأنك في نفسي

ثم يصرح الحلاج باعتقاده في حلول الإله فيه فيقول :

١- أرى ربي بعين قلبي ، فأقول له : من أنت ؟ فيقول لي : أنت !!

٢- ومن كلام الحلاج : والحقيقة خليقة ، دع الخليقة لتكون أنت هو ، أو هو أنت من حيث الحقيقة .

٣- ويقول نظمًا :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا
نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته
وإذا أبصرته أبصرتنا

٤- ويوجز الحلاج عقيدته في بيت من الشعر يقول فيه :

أنا الحق والحق حق
لابس ذاته فما ثمَّ فرق

٥- وقيل : قتل الحلاج لقوله : من هذب في الطاعة جسمه ، وملك نفسه ، ارتقى به إلى مقام المقربين ، فإذا لم يبق فيه من البشرية نصيب حل فيه روح الله الذي كان من ابن مريم .

٦- وينسب للحلاج قوله شعرًا :

سبحان من أظهر ناسوته
سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهرًا
في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه
كلحظة الحاجب بالحاجب

✱ الحلاج والشيعة والنور المحمدي :

ولا شك أن الرجل كان يؤمن برجعة أئمة الشيعة ؛ لذا فلا غرابة أن يقال عنه : كان الحلاج شيعيًا متطرفًا ، ولذلك نراه يدعي لنفسه أنه المهدي المنتظر ، بل صرح عند مقتله قائلاً : سأعود إليكم بعد أربعين يومًا .

يضيف الحلاج إلى شطحاته وتجاوزاته الخطيرة بعدًا جديدًا حين ينقل إلى أهل السنة مفاهيم الشيعة حول قِدَمِ نور النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة ، ولكنه لا يستطيع أن يصرح بقِدَمِ نور الأئمة فقط ، وإلا عُرِفَ مذهبه الخبيث ؛ لذا تراه يكتفي بزعم قِدَمِ نور النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقول : إن نور محمد أشرق قبل أن يكون الخلق ، ومنه استمد الأنبياء هديهم ، والأولياء معارفهم ، لتجليه على مر الأيام فيهم ، وهذا النور القديم كما هو مصدر هداية هو مصدر خلق ، فمنه كانت الأكوان ، ولولاه لما كان وجود ، ويستطرد قائلاً : أنوار النبوة من نوره برزت ، وأنوارهم من نوره ظهرت ، وليس في الأنوار نور أنور وأظهر وأقدم سوى نور صاحب الكرم ، همته سبقت الهمم ، ووجوده سبق العدم ، واسمه سبق القلم ؛ لأنه كان قبل الأمم .

إن الحلاج حين ينادي بين الصوفية من أهل السنة بهذه النظرية القديمة التي مزجت الفلسفات اليونانية والنظرة المسيحية للابن ، والمزاعم الشيعية عن الإمام ، هو في الواقع يمثل جسرًا عبرت عليه كل الأفكار الهدامة كالآفات تهاجم رياض إيمان أهل السنة ، ولم يتأثر بالحلاج إلا الفكر الصوفي ، فقد تطورت نظريته على يدي ابن عربي شيخ الصوفية الأكبر الذي صاغها في نظرية وحدة الوجود ، ووضع لمساتها النهائية من بعده عبد الكريم الجيلي في « الإنسان الكامل » ، وسنعرض في الحلقات التالية بتوفيق الله تعالى لدور كل منهما .

✱ اعتذار الصوفية عن الحلاج :

ترجم أبو عبد الرحمن السلمي للحلاج في « طبقات الصوفية » فقال : إن المشايخ في أمره مختلفون ، رده أكثر المشايخ ، ونفوه ، وأبوا أن يكون له قدم في التصوف ، وقبله بعضهم ، وأثنوا عليه ، وصححوا له حاله ، وحكوا عنه كلامه ، وجعلوه أحد المحققين ، حتى قال محمد بن خفيف : الحسين بن منصور الحلاج عالم رباني ؛ إلا أن الرجل يُعَد من كبار الباطنية الذين قاموا بدور متميز في نشر أفكار الباطنية ، ومن كبار دعاة الاستغراق في العشق الإلهي الذي كان شائعًا في القرن الثالث الهجري ، وترك وراءه عددًا كبيرًا من الناس يحسبونه صوفيًا فانيًا غارقًا في مقامات السكر والغلبة ، وقد بلغ الحلاج والبسطامي حدًّا لا يُبارى في أقوال الشطح وأحوال السكر والفناء ، فمقولة الحلاج : أنا الحق ، أو ما في الجبة إلا الله ، وما يحكى عن أبي اليزيد أنه قال : سبحاني ، لا تجد عند الصوفية تفسيرًا إلا أنها أحوال سكر ووجد وغيبة لا يؤاخذ قائلها .

✱ خلاصة الرأي في الحلاج :

يختلف الناس حول الحلاج اختلافا شديدًا ، فمن أقام عليه الحد من علماء زمانه حكموا عليه بميزان الشرع الحكيم ، واقتصوا منه القصاص الذي يشفي قلوب عباد الله المخلصين ، ولم يعتمد هؤلاء على أقوال مفتراة على الرجل ، وقد بذلوا جهودهم في استتابته ، وبحثوا سبل الاعتذار عن أقواله ، فأبى الحلاج واستكبر ، وظل على ضلاله القديم ، فحذروا الناس من شره ، وأقاموا عليه حد ربه ، ومن أوجز ما يُروى عن الحلاج قول أبي بكر الصولي : قد رأيت الحلاج وجالسته ، فرأيت جاهلاً يتعاقل ، وغبيًّا يتبالغ ، وفاجرًا يتزهد ، وكان ظاهره أنه ناسك صوفي ، فإذا علم أن أهل البلدة يرون - أي

يعتقدون – الاعتزال صار معتزلاً ، أو يرون الإمام صار إماميًا ، وأراهم أن عنده علمًا من إمامتهم ، أو رأى أهل السنة صار سنيًا ، وكان خفيف الحركة مشعبذا ، قد عالج الطب ، وجرب الكيمياء ، وكان مع جهله خبيثا .

فالحلاج في حقيقة الأمر داعية للباطنية ، أظهر العديد من الأفكار ، وخلط مجموعة من المفاهيم ، وأحسن الظن به جماعة من السذج والغافلين ، وسار خلفه أتباع كثيرون ؛ فالحلاج إذن ليس درويشًا صوفيًا ، وإنما باطني خبيث ، وللأسف سار وراء أفكاره أقطاب التصوف .

* محاولات تصحيح مسار التصوف :

عندما ظهرت نزعات الابتعاد عن الكتاب والسنة بين المتصوفة ، الذين يخوضون في الفناء والشطح وغير ذلك ، لم يسكت العلماء عامة ورجال التصوف كذلك ، ويمكن أن نرصد المحاولات الأولى التي قام بها بعض الصوفية لتصحيح مسار التصوف منهم .

* السراج الطوسي :

ظهر الطوسي في مطلع القرن الرابع الهجري تقريبًا ، وأخرج كتابه « اللمع » وأفرد فيه بابًا سماه « أغاليط الصوفية » ، واعترض فيه على القول بالفناء بقوله : والذي أشار إلى الفناء ، أراد به فناء رؤية الأعمال والطاعات ، ببقاء رؤيا العبد لقيام الحق للعبد بذلك ، وكذلك فناء الجهل بالعلم ، وفناء الغفلة بالذكر ، وفناء البشرية بالبشرية صفة من صفات البشرية ، والذي يتوهم أنه ذهاب النفس ، وزوال التلوين عن العبد وقتا دون وقت ، وذهاب البشرية فقد غلط وجهل عن وصف البشرية .

ثم يناقش الأقوال التي انتشرت عن الفناء فيقول : وقد غلط جماعة من البغداديين في قولهم : إنهم عند فنائهم عن أوصافهم دخلوا في أوصاف الحق ، وقد أضافوا أنفسهم بجهلهم إلى معنى يؤديهم ذلك إلى الحلول ، أو إلى مقالة النصارى في المسيح ، عليه السلام ، ولم يدرك القائلون بالفناء الذي هو فناء صفات البشرية ، أن البشرية لا تزول عن البشر ، وهم لا يفرقون بين البشرية وبين أخلاق البشرية ، فالأخلاق تتبدل وتتغير بما يرد عليها من سلطان أنوار الحقائق ، وصفات البشرية وأخلاقها إذا تغيرت فليست هي عين البشرية .

ثم يوضح الطوسي موضع الخطأ في حديث أهل الشطح عن الفناء فيقول : وأما الذين غلطوا في معنى الفناء ، إنما غلطوا بدقيقة خفيت عليهم ، حين ظنوا أن أوصاف الحق هي الحق ، وهذا كله كفر ؛ لأن الله تعالى لا يحل في القلوب ، ولكن يحل في القلوب الإيمان به والتوحيد له ، والتعظيم لذكره ، بمعاني التحقيق والتصديق .

ويزيد الأمر بيانا حين يقول : فمنهم من ترك الطعام والشراب ، وتوهم أن البشرية هي القالب ، والجثة إذا ضعفت زالت بشريتها ، فيجوز أن يكون موصوفًا بصفات الإلهية ، ولم تحسن هذه الفرقة الجاهلة الضالة أن تفرق بين البشرية وبين أخلاق البشرية ؛ لأنَّ البشرية لا تزول عن البشر ، كما أن لون السواد لا يزول عن الأسود ، ولا لون البياض عن الأبيض ، وأخلاق البشرية تبدل وتغير بما يرد عليها من سلطان أنوار الحقائق ، وصفات البشرية ليست هي عين البشرية ، ويؤكد الطوسي العلاقة بين الفناء والحلول حين يقول : والذي غلط في الحلول غلط ؛ لأنه لم يحسن أن يميز بين أوصاف الحق ، وبين أوصاف الخلق ؛ لأن الله تعالى لا يحل في القلوب ؛ وإنما يحل في القلوب الإيمان به ، والتصديق له ، والتوحيد والمعرفة ، وهذه أوصاف مصنوعاته من جهة صنع الله بهم ، لا هو بذاته أو صفاته يحل فيهم ، تعالى الله عز وجل عن ذلك علوًّا كبيرًا .

ولا شك أن الطوسي بموقفه هذا قد وضع يده على قضية هامة ، ولم يخطر بباله ما سيخترعه ابن عربي بعد ذلك ، ثم تأخذ به الطرق الصوفية من بعده وتسير على نهجه ، حين يرى أن وجود الخلق هو ذاته وجود الخالق .

* الكلاباذي :

ينضم الكلاباذي إلى قائمة المتعرضين على انحراف التصوف ، محاولاً توجيه التصوف إلى الكتاب والسنة ، والابتعاد عن الشطح والأحوال التي أوصلت التصوف إلى اعتناق كثير من أفكار فرق الباطنية ، وقد قدَّم الكلاباذي كتابًا أسماه « التعرف لمذهب أهل التصوف » ، يعد من أقدم وأدق وأنقى

وأصفى ما كُتب عن التصوف ورجاله ، حتى قال قدامى الصوفية : لولا التعرف لما عُرف التصوف .

فتراه يصحح مفهوم الفناء بقوله : فالفناء هو أن يفنى عن الحظوظ ، فلا يكون له في شيء من ذلك حظ ، ويسقط عنه التمييز ، فناء عن الأشياء كلها شغلاً بما فني به ، كما قال عامر بن عبد اللّه : ما أبالي امرأة رأيت أم حائط ، والبقاء الذي يعقبه هو أن يفنى عما له ويبقى بما للّه .

ويعرف البقاء الصوفي بقوله : هو أن تصير الاشياء كلها شيئًا واحدًا ، فتكون كل حركاته في موافقات الحق دون مخالفاته ، فتكون فانيًا عن المخالفات ، باقيًا في الموافقات ، فيكون ما نهي عنه كما أمر به ، ولكن لا معنى ؛ أن لا يجري عليه إلا ما أمر به وما يرضاه اللّه تعالى ، دون ما يكره ، ويفعل ما يفعل للّه لا حظ له فيه في عاجل أو آجل .

فالفناء كما يراه الكلاباذي ؛ فناء في طاعة اللّه ، تبارك وتعالى ، والابتعاد عن معصيته ، والبقاء في مرضاته والالتزام بحدوده ، وليس في هذا الفهم أدنى شبهة ، بل نراه يحاول تصحيح مفاهيم الفناء التي ابتدعها الحلاج وغيره من زعماء الشطط والزيغ .

لقد تتبعنا في الحلقات السابقة مراحل انحراف التصوف ، أولاً ؛ من الناحية التاريخية ، وثانيًا ؛ من الناحية الفكرية ، ورصدنا تطوره ، ونود قبل أن نتناول دور ابن عربي وابن سبعين والجيلي أن نوجز المراحل السابقة في نقاط محددة هي :

١- بدأ التصوف مع نهاية القرن الثالث الهجري ؛ حيث لم يظهر قبل ذلك ، أي إشارة إلى الصوفية أو التصوف فيما تركه لنا السلف الصالح من كتب ومصادر ، وقد بدأ التصوف بإقبال بعض العباد على الزهادة واعتزال الدنيا ، والانقطاع للطاعات وعبادة اللّه سبحانه .

٢- ظهر بعد ذلك القول بالوجد ، وهو حال يفسره الصوفية بما يصادف القلب من أحوال الآخرة ، أو رفع الحجاب ، كما يحلو للبعض أن يقول ، أو حال من أحوال القلوب من خشية أو وجل أو رجاء ، فيظهر ما يجده الصوفي في باطنه على ظاهره .

٣- إذا استمر الوجد وغلب صاحبه سماه الصوفية غلبة ، وقد احتاط بعض المشايخ في قبول أحوال الوجد ، وربط الواردات التي ترد مع حال الوجد ، بما يتركه في نفس صاحبه ، وقياس ذلك في ضوء الكتاب والسنة ، فما وافقها كان حالاً من أحوال الصلاح ، وإن كان عكس ذلك فلابد للصوفي من رفض هذا الحال .

٤- وإذا استمر الحال واشتدت وطأته ربما يغيب الصوفي عن نفسه ، فيصل إلى حالة من السكر ، حيث يغيب عنه تمييز الأشياء .

٥- ظهرت مجموعة من الأقوال لأناس يصفهم الصوفية بأنهم في حالة الوجد أو الغلبة أو السكر ، وكل ما يصدر عنهم في هذه الأحوال يسميه الصوفية شطحا .

٦- أبرز الشطحات التي ظهرت في بداية انحراف الصوفية كانت على يدي أبي اليزيد البسطامي المتوفى سنة ٢٦١ هـ .

٧- أول من تحدث في الفناء وأفاض فيه هو أبو سعيد الخراز المتوفى سنة ٢٧٧ هـ .

٨- ثم ظهر الحلاج المقتول سنة ٣٠٠ هـ على مسرح الأحداث ، وسرعان ما خطف الأضواء ، وقد نجح الرجل وهو يعتنق مفاهيم الباطنية أن يلبس على الناس حاله ، حتى عده بعض الصوفية من أكابر القوم ، وقد أرسى الحلاج الكثير من المفاهيم التي أصبحت فيما بعد الأسس التي سار على دربها فلاسفة التصوف ، من أخطر المفاهيم التي خاض فيها الحلاج هو مفهوم قدم نور النبي صلى اللّه عليه وسلم ، ثم قوله بالحلول والاتحاد ، وباقي الشطحات الباطنية الخطيرة .

٩- تعد المراحل السابقة التمهيد الحقيقي لظهور أفكار ابن عربي ، ثم ابن سبعين والجيلي ، والتي انتهت إلى عقيدة جديدة لا علاقة لها بالنبوة ورسالة النبي الخاتم صلوت اللّه وسلامه عليه .

١٠- لم تمنع محاولات تصحيح مسار التصوف من استمرار انحراف أفكاره وجنوحه إلى الغموض والأسرار .

وإلى اللقاء في الحلقة القادمة ، بإذن اللّه ، مع ابن عربي ووحدة الوجود التي تدندن حولها أغلب أوراد الطرق الصوفية ، واللّه وحده المستعان .

أ / محمود المراكبي

إلى أطفال الحجارة

د. عيطة عبد المقصود يوسف

مدرس بكلية التربية جامعة الزقازيق

عجبا لكفاحكمو عجبًا   يا غرس فلسطين النجبا
يا فخر العصر ومعجزة   يقف التاريخ لها أدبا
طرقات حجارتكم تملى   والعالم يسطرها كتبا
ودماؤكم الحرى رسمت   غصن الزيتون قد انتصب
في حجر يحمله طفل   لم يعرف مذ ولد اللعب
بدموع يبدو مبتسما   وعيون يقدحها لهبا
عجبًا لدموع يذرفها   طفل ؛ فتروع مغتصبا

* * *

صبرًا يا فلذة أكباد   لاكتها أضراس غصبا
يحسبها الجاهل لينة   يلويها يرعبها رعبا
فإذا هي صخر جلمود   أنياب وحمام غضبى
خرجت عن طور طفولتها   تدعو لجهاد قد وجبا

* * *

أنتم ، من أنتم ؟ أطفال ؟   لا ... أبطال الحق إذا غضب
يا زهر العمر تحولتم ..   للحرب وللعزة طلبا
طرقت أصداء حجارتكم   فجر الحرية إذ غرب
ترجوه مجازر شاتيلا   والقدس تئن له رغبا
لن تهدأ ثورتنا أبدًا   والحق يظل متى طلبا
عجبًا للعالم يتمنى   سلمًا ويريد به حربا

باب
السيرة

وقفات
مع القصة
في كتاب
الله

فوائد مجموعة من قصة إبراهيم

فضيلة الشيخ / عبد الرازق السيد عيد

الحمد للّه الذي يخلقَ ما يشاء ويختار يصطفى من خلقه ما يشاء . له الخلق والأمر ألا هو العزيز الغفار. وبعد :

فهذه أيها القارئ الكريم مجموعة من الفوائد المختارة من قصة إبراهيم ، عليه السلام ، أردت أن أسوقها مجتمعة بين يديك في ختام حديثنا عن قصة أبى الأنبياء خليل الرحمن إبراهيم ، عليه السلام ، لعل ذلك يكون أرجى للاستفادة منها سائلاً ربي سبحانه وتعالى أن ينفعني وإياك بما علمنا ، وأن يعلّمنا ما ينفعنا ، وأن يرزقنا الإخلاص فيما نعمل ، إنه سميع قريب .

● سنّة اللّه في الأنبياء الابتلاء ثم الاجتباء :

هذا من سنن اللّه في عباده أن يبتليهم ثم يصطفيهم بما صبروا ، ولقد وقع هذا لإبراهيم ، عليه السلام ، على مدى حياته كلّها ، وفي مواقف متعدّدة ، فكان نعم العبد ، فاستحق من اللّه الثناء والاجتباء ، قال تعالى : ﴿ إنّ إبراهيم كان أمّةً قانتا للّه حنيفا ولم يك من المشركين ● شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراطٍ مستقيم ● وآتيناه في الدنيا حسنة وإنّه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ [النحل : ١٢٠-١٢٢] .

### ● بركة الذريّة :

قال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوّة والكتاب ﴾ [الحديد : ٢٦] ، قال ابن كثير ، رحمة اللّه عليه ، تعليقا وشرحًا لهذه الآية الكريمة : (فكل كتاب أنزل من السماء على نبي من الأنبياء بعد إبراهيم الخليل ، فمن ذريته وشيعته ، وهذه خلعة سنية لا تُضاهى ، ومرتبة عليّة لا تباهى ، وذلك أنّه وُلِدَ له من صلبه ولدان عظيمان ؛ إسماعيل من هاجر المصرية ، ثم إسحاق من سارة ابنة عمّه ، وجاء من إسحاق يعقوبُ ، ويعقوبُ هو ؛ إسرائيل ، الذي ينتسب

إليه سائر أسباطهم – أي أسباط بني إسرائيل – فكانت فيهم النبوّة ، وكثروا جدًا بحيث لا يعلم عددهم إلا الذي بعثهم واختصهم بالرسالة والنبوة ، حتى خُتموا بعيسى ابن مريم ، عليه السلام ، وأما إسماعيل ، عليه السلام ، فكانت منه العرب على اختلاف قبائلها ، ولم يوجد من سلالته من الأنبياء إلا خاتمهم على الإطلاق وسيدهم ، وفخر بني آدم في الدنيا والآخرة : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي المكي ، ثم المدني ، صلوات الله وسلامه عليه) . انتهى من " قصص الأنبياء "

● شكر نعمة الذرية والاهتمام بتوجيهها :

وذلك في قوله : ﴿ الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق ﴾ الآية [إبراهيم : ٣٩] . ولم يكن شكر إبراهيم ، عليه السلام ، بلسانه فحسب ، بل كان بقلبه وعمله أيضا . ويتجلى ذلك في سيرته بوضوح كامل وفي وصيّته لبنيه بأفضل الوصايا ، وهي ملازمة القيام بالدين والتقوى : ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٢]

● براءة إبراهيم ، عليه السلام ، مما نسبه إليه اليهود والنصارى :

قال تعالى : ﴿ ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ﴾ [آل عمران : ٦٧] .

● أولى الناس بإبراهيم ، عليه السلام :

﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ﴾ [آل عمران : ٦٨] . بعد أن كذّب الله اليهود والنصارى في انتسابهم إلى إبراهيم ، عليه السلام ، في الآية ٦٧ من سورة " آل عمران " أوضح سبحانه في الآية التي تلتها مباشرة مَنْ أحق الناس بالانتساب إلى إبراهيم ، عليه السلام ، فقال سبحانه : ﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه ﴾ أي ؛ الذين اتبعوه حال حياته وساروا على دينه بعد مماته وماتوا على ذلك ، وهو دين الإسلام الخالص لله من كل شائبة شرْك ، ثم قال سبحانه ﴿ وهذا النبي ﴾ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ، فإن الله شرع له الدين الحنيف الذي شرعه لإبراهيم ، عليه السلام ، وأمره باتباعه : ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملّة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾ [النحل : ١٢٣] .

وهكذا أقام محمد صلى الله عليه وسلم ملّة أبيه إبراهيم الذي سمّى أمته من قبل بالمسلمين . وكل من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم واتبع دينه فهو على ملة إبراهيم ، عليه السلام ، ومن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر بإبراهيم ، عليه السلام ، بل كفر بالله رب العالمين . وهكذا شرع الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم من [illegible] ما يصلهم إلى حنيفية من مناسك الحج ، وفي التشهد في الصلاة وفي غير ذلك من أصول الدين وفروعه . ويكفي أن البيت الذي رفع

قواعده إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام، هو قبلة المسلمين التي يتوجهون إليها في صلاتهم.

● جمع إبراهيم، عليه السلام، بين حسن العمل والخوف:

وهذه من أعلى مقامات الإحسان أن يجمع المسلم بين حسن عمل وسوء ظنّ بنفسه والخوف من ذنبه، وهكذا كان حال إبراهيم، عليه السلام، وهو يقوم ببناء البيت كان يقول: ﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ [البقرة ١٢٧].

● قوة الحجة:

رفع الله إبراهيم، عليه السلام، بالعلم واليقين وقوة الحجج التي أقام بها الحجة على قومه.

● التدرج في الدعوة:

مرّ بنا في قصته، عليه السلام، كيف بدأ بدعوة أبيه، ثم قومه، وتدرج معهم في أساليب الحوار المختلفة، ثم أعلن براءته من شركهم ومما يشركون به، ثم تحداهم وتحدّى آلهتهم التي يعبدونها من دون الله، ولم يخش بأسهم وهو فرْد وهم جمع، لكنّه على يقين من نصر الله له.

● البدء بالتوحيد:

هتمّ إبراهيم، عليه السلام، بتجلية حقائق التوحيد لقومه، حيث التوحيد أصل كل دعوة إلى الله، ومن هنا إهتم به جميع الرسل من لدن آدم إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى كل داعية أراد وجه الله أن يتأسى بالأنبياء في دعوتهم

● خطأ نفاة الصفات:

السمع والبصر والكلام صفات كمال لله سبحانه وتعالى، ولذا عاب إبراهيم، عليه السلام، على قومه أن يعبدوا ما لا يسمع، ولا يبصر، ولا يتكلم. ومن هنا فقد وقع الذين نفوا صفات الله أو أوّلوها في أمر عظيم. والله، عزّ وجلّ، موصوف بصفات الكمال والجلال، منزّه عن كل نقص: ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [الشورى: ١١]

● سلامة القلب:

﴿ ولا تخزني يوم يبعثون ● يوم لا ينفع مال ولا بنون ● إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ [الشعراء: ٨٧-٨٩]. من هذا الدعاء العظيم لأبي الأنبياء نعلم أهمية القلب، وأنه أساس قبول الأعمال يوم القيامة إذا كان سليماً. والقلب السليم هو الذي سلم من كل شبهة تقدح في علمه أو شهوة تعوق العبد عن عبادة ربه. وسلم من الكبر والرياء والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق وسلم من الغل والحقد والحسد، وامتلأ محبة وإخلاصاً وعبودية، وانطوى على النصيحة للمسلمين، ونفع العباد.

اللهم اجعلنا من أصحاب القلب السليم، وثبت قلوبنا على دينك، يا مقلب القلوب والأبصار حتى نلقاك على الإيمان والإسلام

* * *

باب التراجم

من أعلام الدعوة

جمع وترتيب

فتحى أمين عثمان

وكيل عام الجماعة

الشيخ عبد العزيز بن راشد

العالم النجدي الذي جاهد في مصر

■ هو عبد العزيز بن راشد ، ولد في بلدة المتبيجر ، بمنطقة الحريق ، وهي تبعد (١٥٠ كم) جنوب الرياض .

■ وحفظ القرآن الكريم وتتلمذ على يد شيوخ بلاده وخاصة آل الشيخ .

■ قدم إلى مصر ونزل بلدة دمنهور وأسس بها فرع الجماعة ، وكان ذلك زمن الشيخ محمد حامد الفقي ، مؤسس الجماعة . فكان بذلك العمل من الرعيل الأول من رجال الدعوة ، وعالمًا جليلاً من علمائها ، وقد تتلمذ عليه أقطاب السنة بدمنهور ، منهم مثلاً الشيخ أبو علو .

■ ثم انتقل إلى الإسكندرية وعاش بها ، ورأس فرع الجماعة بالإسكندرية بعد سفر فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي إلى السعودية عام ١٣٦٩ هـ .

■ ظل رئيسًا لفرع الإسكندرية حتى عام ١٣٨٣ هـ ، حيث انتقل إلى مكة المكرمة ليقوم بالتدريس بالمسجد الحرام .

■ توفاه اللّه يوم ١٣ في المحرم ١٤٠٣ هـ بعد مرض طويل . وقد دفن بالإسكندرية في مقبرة الجمعية : ولذلك لم يذكره صاحب كتاب « أعلام القرن ١٤،١٥ هـ » كواحد من علماء السعودية ، علمًا بأنه عاش وعاصر كثيرًا من علماء السعودية من أمثال عبد الله بن عمره بن دهيش توفي

١٤٠٦ هـ ، عبد اللّٰه بن محمد بن حميد ، توفي ١٤٠٢ هـ ، صالح بن ناصر الصالح ، توفي ١٤٠٤ هـ ، وكثير غيرهم .

■ وكان الشيخ ابن راشد معروفًا عند سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ .

■ وكان من معاصريه وأحبائه في مصر؛ الشيخ حامد الفقي ، والشيخ أبو الوفاء درويش ، والشيخ محمد صادق عرنوس ، والشيخ عبد الرحمن الوكيل ، والشيخ عبد اللطيف حسن ، والشيخ محمد البنا ، أطال اللّٰه عمره، والشيخ عكاشة أحمد عبده بالإسكندرية ، وكذلك الشيخ محمد فتحي محمود ، والشيخ مخاري أحمد عبده ، والشيخ محمد رشاد غانم الذي كان صهرا لابن راشد .

■ جهاده في سبيل نشر دعوة التوحيد :

لقد جاء الشيخ ابن راشد إلى مصر ، وكان زميله آنذاك هو الشيخ عبد اللّٰه بن يابس ، فدعا إلى توحيد اللّٰه تعالى وإلى نبذ البدع والخرافات وتنقية العقيدة مما شابها من الترهات ، فتعرض من أجل ذلك إلى الأذى والاضطهاد ، سواء كان ذلك في دمنهور أو الإسكندرية .

وكان هذا الأمر مشهورًا بين أنصار السنة المحمدية حتى أن الشيخ محمد صادق عرنوس لما كتب قصيدته المعروفة في تقريظ كتاب " صيحة الحق " للشيخ أبي الوفاء درويش لم ينس جهاد ابن راشد ، فكتب يقول :

لاقيت ما لاقى ابن راشد
من طيش الهوى ورعونة الحمق
فلتطلعا شمسين في فلك
هو لا يغيب وأنت في أفق

■ من وصاياه لجماعة أنصار السنة المحمدية التي أرسلها يوم وفاة مؤسسها الأول الشيخ محمد حامد الفقي ، رحمه اللّٰه :

رحم اللّٰه الشيخ حامدًا وألحقه بالصالحين ، وجزاه خيرًا على قيامه بنشر الدعوة إلى توحيد اللّٰه ، وعوض الجماعة فيه خيرًا ، وأحسن اللّٰه عزاءنا فيه ، فقد ناضل ، رحمه اللّٰه ، على توحيد العبادة للّٰه خير نضال ، وعمل على هدم الشرك وبيان مداخله على جمهور الناس فوق الأربعين عامًا ، بطرق وأساليب برز فيها وبزّ فيها جميع الدعاة من أهل عصره ، غير هياب ولا وجل ، ولا يخاف في اللّٰه لومة لائم .

ولقد وجه بعد ذلك النصح للجماعة بقوله : فاعملوا يا أنصار السنة على تطهير القلوب والعقول ، وخصوصًا في هذا الزمن الذي كثر فيه إلحاد الماديين ، واستهتار الجهلة بالدين ، فاصبروا وصابروا يا أنصار السنة . فبالابتلاء يمحص اللّٰه

الذين أمنوا ويمحق الكافرين ، وعليكم أن تقوموا بما أوجب الله عليكم من تبليغ دعوة التوحيد إلى الناس أفرادا أو جماعات . هذه الكلمات التي تدل على ثقة الرجل في الله تبارك وتعالى ، والحرص الشديد على أن تستمر دعوة الحق والخير .

■ وللشيخ ابن راشد وصية طيبة في شأن الداعية يقول فيها : (وعلى الداعية أن يكون على علم وبينة مما يأمر به وينهى عنه ، وأن يكون قدوة صالحة ، عملاً وقولاً ، فيما يأخذ ويدع) .

■ مكانته عند الشيخ حامد الفقي مؤسس الجماعة :

كان يقول عن الشيخ ابن راشد : أخي الحبيب ، وخليلي على محبة الله ورسوله ، الأخ الصالح العلامة الشيخ عبد العزيز بن راشد ، وفقني الله وإياه لما يحب ويرضى) .

■ إنتاجه العلمي :

كان للشيخ عبد العزيز بن راشد خط خاص في التأليف ، فهو يكتفي دائمًا في كتاباته بما جاء في " الصحيحين " فقط " البخاري " ، و" مسلم " ، وقد ظن بعض إخواننا من أنصار السنة أن الرجل ربما كان يرد الأحاديث الأخرى التي جاءت في باقي الكتب الصحاح ، ولكني علمت أخيرًا أنه كان فقط يكتفي بما جاء في " الصحيحين " كمصادر لكتاباته ، ومن أشهر ما كتب

١- كتاب " تيسير الوحيين " ، وهو من جزأين ، أولهما للعبادات ، والثاني للمعاملات .

٢- " الأشعية الرحمانية " .

٣- " السيرة " .

٤- " هاتف الأمين " .

٥- وله كتاب في أحاديث الآحاد .

هذا ؛ ولقد كان الشيخ عبد العزيز بن راشد مثلاً للداعية المتجرد من كل هوى وحقد ، وكان يتحلى بالإخلاص للدعوة والود لإخوانه ، ولا يزال إخواننا بالإسكندرية يذكرونه ويثنون عليه الثناء الجميل .

نسأل الله أن يرحمه رحمة واسعة ، وأن يلحقنا به مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وأن يغفر لسلف هذه الجماعة ، إنه سميع مجيب .

وكتبه / فتحي أمين عثمان

وكيل الجماعة

حرية النشر

وحرية الاستهزاء بدين الله !!

بقلم فضيلة الشيخ

مصطفى درويش

مجلة روزاليوسف عدد (٥/٥ ١٩٩٧) ؛ وتحت ظل الاحتماء في حرية النشر ؛ تسخر بالله والرسول وأركان الإسلام والأنبياء ، وتقول بطريقة ملتوية : إنها "نكت متداولة " . وتذكر أن الشيخ شعراوي اعتنق النصرانية .

هل ستقف مواد قانون العقوبات الخاصة بالسخرية بالدين موقف المتفرج ؟!

نريد أن نسمع رأي شيخ الأزهر والمفتي والعلماء ، هل هي بقايا الأقلام الماركسية التي تحطمت على مستوى العالم وألقي بها في صنديق قمامة التاريخ ؟! هل مازال العشر الشيوعي يسيطر على بعض الأقلام بعد أن دفن في موطنه ؟!

كمقدمة وحتى لا نتهم بتكفير الناس نقول : القاعدة ثم نأتي إلى تطبيقها . يقول الواحد القهار : ﴿ يحذر المنافقون أن تُنزل عليهم سورةٌ تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن اللّه مخرجٌ ما تحذرون ۞ ولئن سألتهم ليقولنّ إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون ۞ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم .. ﴾ [التوبة : ٦٤-٦٦] .

هم جماعة من المنافقين سخروا من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه وسلم . فلما سألهم في ذلك قالوا : يا رسول اللّه إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به الطريق ، فجاء الحكم القاطع : : ﴿ أباللّه وآياته ورسوله كنتم تستهزءون ۞ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ .

وفي مجلة روزاليوسف عدد (٥/٥ ١٩٩٧) (ص٦٠ وما بعدها) بحجة أنها تنقل ما يقوله الفاسي : بدأت بالاستهزاء باللّه ، فقالت : إن شيخًا مسلمًا كان يمسك بصندوق النذور كل يوم جمعة ويلقيه لأعلى نحو السماء والمال الذي يسقط على الأرض من حقه ، والمال الذي يصعد إلى السماء من حق الله !!

وترد القول بأن المسيح مات في حادثة سيارة !! وتقول عن قصة يوسف ، عليه السلام : طفل تاه من أسرته ووجدوه !!

ثم تسخر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقول : إن الشيخ المسلم رفع السنارة وهو يقول : باسم الصليب فخرجت سمكة كبيرة . فلما صاح : اللهم صلي على النبي سقطت السمكة !!

وتنسب إلى الشيخ المسلم أنه فتح سقف بيته فتحة وادعى أنه الله يكلم جاره !! والشيخ المسلم يصف الشاب العفيف الذي لا ينظر إلى المرأة شبه العارية بأنه حمار وغبي ، وأن الشيخ المسلم اشترك في مباراة ميسر للعب على امرأة من يفوز بها !! ويحكي قصة رجل أخذ معه الخمر في الحج ؛ لأنه مريض لا يقدر على الطواف ويريد أن تطوف الكعبة حوله !! وتقول : إن رجل تمادى في علاقة جنسية مع امرأة لنصيحة رجل مختبئ فوق شجرة ويقول له : لا تنس نصيب الرب أي نصيب الرب في المرأة !!

وتنسب إلى الشيخ شعراوي أنه تحاور مع قطب نصراني وبعد فترة خرج يحلف بالمسيح الحي !!

> **□ أنصح معالي وزير الثقافة بمعرفة حياة بتهوفن وموزار وتاريخ البالية . أما تاريخ الأنبياء وأمثالهم فأنصحك بتركه للمتخصصين !!**

هذه سخرية واضحة وصريحة بدين الله ، بل وبالله ورسوله ، وأركان الإسلام ورموز الإسلام ، ويدعي الكاتب أنه مجرد ناقل " نكت " يرددها الناس ، وهل كل ما يردده الناس يجب أن ينشر ، هل تصل الشجاعة بالكاتب ويستطيع أن يردد بعض النكت التي تقال عن الحكام والكبار ؟! وأي فائدة ترجى من وراء ترديد ما يقوله الناس ؟ ومثل هذه المقالات نتائجها خطيرة .

أولاً : توسيع دائرة الإرهاب ؛ لأن الشباب المتحمس للإسلام عند مطالعة هذا الكلام تغلي الدماء في عروقه ، ويجد في ذلك مبررًا ؛ لأن يفعل أي شيء ، طالما أن الإسلام يتعرض لمثل ذلك بغير منع أو جزاء .

ثانيًا : فقدان الثقة برموز الإسلام وهم الشيوخ ، فبدلاً من أن يبحث الناس عن الفتوى من علماء المسلمين يصبح كل واحد مفتيًا لنفسه ويجهل .

ثالثًا : اعتقاد الشباب أن السماح بمثل هذه المقالات معناه تأييد السير نحو العلمانية التي تسخر بالدين وشعائره .

ونحن نطالب علماء الإسلام بالتحرك لمواجهة مثل هذه الأمور حتى لا تكثر وتستفحل أمر الاستهزاء بدين الإسلام ورموزه ، ولو تعرض هذا الكاتب للاستهزاء براقصة لهبت نقابة الراقصات للدفاع عنها !! وإذا كنا لا نخص الله في الدفاع عن دينه ، فهل سنتجاهل أيضًا المادة ١٦١ من قانون العقوبات ، والتي أحالت إلى المادة ١٧١ وهي تخص

الاستهزاء بالدين بإحدى وسائل النشر .

آمل أن يكون هذا الكلام بلاغا إلى سيادة المستشار النائب العام الأمين على تطبيق قانون العقوبات .

لقد ألف أحد كتاب روزاليوسف كتابًا عن أمراء الإسلام ودافع فيه عن عزل الدين عن الدولة ، وذكر فيه ؛ أنه مستعد في أرض الحشر للمرافعة والدفاع عن كل متهم بذلك ، ظنًا منه أن أرض الحشر مثل محكمة باب الشعرية !!

والعجيب أن تهوى الماركسية في العالم ويصبح لسقوطها دوي وسقطت بدون مقدمات ، ورجم أنبياء الماركسية ، ومازالت الذيول تعلق بالماركسية ، ومازالت تعيش في خيالاتها وأحلامها ، ولو كانت الشريعة الإسلامية ثقافة بشرية ومجرد تراث إنساني – كما يردد بقايا العفن الشيوعي – لسقطت بعد موت من أتى بها .

لقد دفنت الماركسية مع ماركس ، وإن تأخر الدفن ودفن الميثاق مع صاحبه الذي اتهم بالشمولية ، ودفنت ورقة أكتوبر مع صاحبها ولم يعد لها صوت ، وبقيت الشريعة الإسلامية حية ، برغم أنه يفصل بينها وبين من آتى بها عشرات القرون ؛ لأنها ليست صناعة بشرية ، إنما هي تنزيل الذي لا يموت ، ليظل للمسلمين الإطار السليم لعبادتهم ودولتهم ومجتمعهم .

وفي نفس العدد في مجلة روزاليوسف مقال للدكتور أحمد صبحي منصور بعنوان " الأقباط مسلمون " دراسة من آيات القرآن !!

وهو في ذلك يستند إلى الإسلام بالمعنى الظاهري ، وهو السلام والسلم والإيمان بالمعنى الظاهري : أي الأمن والأمان ، ومعنى هذا أن عابد البقر والشجر والحجر والناس والذي لا يعبد شيئا لو حقق الأمن والأمان والسلام والسلم فهو مسلم ''

> □ أطالب علماء المسلمين بالتحرك لمواجهة مثل هذه الأمور حتى لا يستفحل أمر الاستهزاء بدين الإسلام ورموزه !!

وفضيلة الدكتور صاحب المقال يقرر أن من يحقق الأمن والأمان والسلام والسلم فهو المؤمن المسلم ، ولا يهمه بعد ذلك أن يكون يهوديًّا ، أو نصرانيًّا ، أو مجوسيًّا !!

ويفسر قول اللّه تعالى : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ [الأنعام : ٨٢] . فيقول : لم يظلموا أحدًا ، ويتجاهل قول رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أن الظلم في هذه الآية : هو الشرك .

يا فضيلة الدكتور نحن نحيلك في تعريف الإسلام إلى ما قاله رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وتصديق جبريل عليه ونحيلك في تعريف الإيمان إلى ذلك أيضًا ، فهل يا فضيلة الدكتور الذين يؤمنون بالله

مثلث الأقانيم متجسد متخذ للولد ويرفضون الإيمان بالقرآن والرسول الخاتم في نظرك مسلمون مؤمنون "

والعجيب يا فضيلة الدكتور أن تقول : الأقباط مسلمون ، ولم تحدد هل هم الكاثوليك ، أم الأرثوذكس ، أم البروتستانت .. إلخ ، وهل يسمح له أي واحد من هؤلاء أن تقول له : أنت مسلم !!

ونحيلك يا فضيلة الدكتور إلى آيات القرآن الكريم التي بينت في صراحة أن جميع أعمال الإنسان الصالحة مع الشرك تحبط وتصبح كالسراب .

يا فضيلة الدكتور عد إلى تعريف الإسلام والإيمان في القرآن الكريم والسنة المطهرة ومع الصحابة ، وليس ما فعلته هو مجال عبقرية المجيء بالشيء الجديد ، بعد أن قال ربنا : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ [المائدة : ٣] . وكما أنك لا ترضى أن يقال عنك : المسلم النصراني ، فغيرك لا يرضى أن تقول عنه : النصراني المسلم ، هداني الله وإياك إلى الحق .

أما الثالثة : فهي أن معالي وزير الثقافة في نفس العدد من المجلة يرد على ادعاء الإسرائيليين أنهم بنوا الأهرامات في مصر ، فيقول : إن أول واحد من بني إسرائيل دخل مصر كان سيدنا إبراهيم "

للعلم يا معالي وزير الثقافة إسرائيل هو يعقوب ، عليه السلام ، ويعقوب بن إسحاق ، وإسحاق بن إبراهيم ، فبنو إسرائيل هم أبناء حفيد إبراهيم ، عليه السلام ، فكيف يُقال : إن جد إسرائيل وهو إبراهيم من أبناء إسرائيل ؟! وتاريخ بني إسرائيل في مصر بدأ بيوسف ، عليه السلام ، عندما قال لإخوته : ﴿ وأتوني بأهلكم أجمعين ﴾ [يوسف : ٩٣] ، فحضر أولاد يعقوب ، أو بنو إسرائيل ، إلى مصر ، ثم بدأت هذه البذرة تتكاثر بعد بناء الأهرام بعشرات السنين ، والإسرائيليون لم يدخلوا مصر إلا من عصر يوسف ، عليه السلام ، وهو بعد بناء الأهرام بعشرات السنين والقرون ، فلما تكاثر عددهم اتجه الفراعنة إلى عمل تحديد نسل بالنسبة لهم ، فذبحوا المواليد الذكور ، وتركوا الإناث ، وليس عيبًا يا معالي الوزير أن يعرف الإنسان شيئا وتغيب عنه أشياء ؛ لأن من يدعي معرفة كل شيء جاهل بكل شيء ، ويمكن لمعاليك معرفة تاريخ حياة بتهوفن وموزار وأول من ألف الباليه وأمثالهم ، أما تاريخ الأنبياء ؛ فأنصح معاليك بتركه للمتخصصين ؛ لأن معاليك لو طالعت القرآن بتدبر .... وجواب " لو " معروف ويمكن لغةً حذفه إذا دل عليه السياق .

الكلمة الأولى في القرآن يا معالي الوزير : ﴿ اقرأ ﴾ ، ولكن : ﴿ باسم ربك الذي خلق • خلق الإنسان من علق • اقرأ وربك الأكرمُ • الذي علم بالقلم ﴾ [العلق : ١-٤] والأكرم لا يعلم إلا ما هو كريم ، وليس ما هو منقول عن بلاد تبيح الزنا بطريقة أحط من الحيوانية ، بل وتبيح زواج الرجل بالرجل ويقال حضارة ومدنية وعصرية وتقدمية .

مصطفى درويش

للذين استجابوا لربهم الحُسنى

بقلم الشيخ / أحمد طه نصر

﴿والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوءُ الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ [الرعد : ١٨].

● وحتى يتضح المراد من الآية الكريمة، مع كونها مرتبطة بما قبلها من آيات. نجد أن القاعدة التي درج عليها أئمة التفسير أن يقرأ قبلها آيتان وبعدها آيتان لإتمام المعنى ومعرفة أيّ استجابة يأمرنا الله الكريم بها، وأيضا نستطلع الآيات التي اشتملت على الأمر بالاستجابة الواردة بسور أخرى ليكتمل الخير والهدى

● سورة " الأنفال " نداءٌ علويّ للمؤمنين، يجدر بنا أن نتلقاه طائعين؛ لأنه مقتضى الإيمان، يقول تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ [الأنفال : ٢٤]. وأكرم بها من استجابة لدواعي الحياة الطيبة واستقامتها وما تثمر من استخلاف وتمكن وعزٍّ وأمْن. وعقيدة تحيي القلوب وتنير العقول، وتخلصها من رقّ الجهل والخرافة. إنّ الإسلام دينٌ إيجابيٌ لُحمته وسُداه إيمان واستقامة على منهج الله الحكيم العليم

● ومن سورة " الشورى " آيات تشرح المنهج؛ منها : ﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [الشورى : ٣٨]. وتمضي السورة. وقبل ختامها تذكر بالمآل وقيام الساعة. وما أُعدّ للمستجيبين من نجاة ونعيم، وما لغيرهم من شقاء وعذاب أليم. يقول سبحانه ﴿ استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يومٌ لا مردّ له من الله ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير ﴾ [الشورى : ٤٧].

● الآيات من سورة " الرعد " ارتبطت بما قبلها؛ بدءًا من قوله عز وجل ﴿ قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرّا ﴾ الآية [الرعد : ١٦].

● وحول هذه الآيات الكريمة يقول الحافظ ابن كثير، رحمه الله، في " تفسيره " : [يقرر الله تعالى أنه لا إله إلا هو؛ لأنهم معترفون بأنه عز وجل هو

الذي خلقهم وخلق السماوات والأرض ، وهو ربها ومدبرها ، وهم مع هذا قد اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم ؛ يتوجهون إليها ويرجونها فيما هو حق اللّه وحده ، وأن هذه الآلهة المزعومة لا تملك لأنفسها ولا لغيرها من باب أولى نفعًا ولا ضرًا ، أى لا تحصل لهم منفعة ، ولا تدفع عنهم مضرة ، فهل يستوي مَنْ عبد هذه الآلهة ؛ الأضرحة والمقاصير ومساخر الموالد ، ومَنْ عبد اللّه وحده لا شريك له ، فهو على نُورٍ من ربّه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا للّه شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل اللّه خالق كل شيءٍ وهو الواحد القهار ﴾ [الرعد : ١٦] ، سبحانه وتعالى عما يُشركون . اهـ .

● كما يذكر الإمام القرطبي رحمه اللّه عند تفسيره لآية : ﴿ قل مَن رب السموات والأرض ﴾ يقول : أمر اللّهُ نبيه صلى اللّه عليه وسلم أن يقول للمشركين : " قل من رب السموات والأرض " ، ثم أمره أن يقول : " قل اللّه " ، إلزامًا للحجة ، إنْ لَمْ يقولوا ذلك ، ودليله قوله سبحانه : ﴿ ولئن سألتهم مَنْ خلق السموات والأرض ليقولن اللّه ﴾ [لقمان : ٢٥] ؛ أي فإذا اعترفتم فَلِمَ تعبدون غيره ؟! وذلك الغير لا ينفع ولا يضرّ ، وهو إلزامٌ صحيح ، ثم ضرب لهم مثلاً ، فقال : ﴿ قل هل يستوي الأعمى والبصير ﴾ ، فكذلك لا يستوي المؤمن الذي لا يُبْصِرُ الحق ، فيخلص دينه وعبوديته للّه وحده ، والمشرك الذي لا يبصر الحق ؛ حق اللّه على عباده بأن يعبدوه لا يشركوا به شيئًا مما اتخذوه من دونه عز وجل من الأولياء والشفعاء ، إلى قوله تعالى : ﴿ قل اللّه خالق كل شيء ﴾ ؛ أى قل لهم يا محمد : ﴿ اللّهُ خالق كُل شيء ﴾ ، فلزم لذلك أن تعبده الخلائق ، ثم قال : ﴿ للذين استجابوا لربهم الحسنى ﴾ [الرعد : ١٨] ؛ أى أجاب إلى ما دعاه اللّه إليه من التوحيد والنبوات : ﴿ الحسنى ﴾ وهي الجنة ؛ لأنها نهاية الحسن . ا .هـ .

● **والخَلْقُ** : صفة للّه خالصة له من صفاته القادرة وحدها على هذا الخلق : ﴿ هو اللّه الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ [الحشر : ٢٤] ، والكون كله ناطق بهذا الحق : ﴿ هذا خَلْقُ اللّه فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلالٍ مبينٍ ﴾ [لقمان : ١١] ، كل ذلك ليتضح الحق : ﴿ أفمن يَخْلُقَ كمن لا يخلق أفلا تذكرون ۞ وإن تعدُّوا نعمة اللّه لا تحصوها إن اللّه لغفور رحيم ۞ واللّه يعلم ما تسرون وما تعلنون ۞ والذين يدعون من دون اللّه لا يَخْلُقُون شيئًا وهم يُخْلَقُون ۞ أمواتٌ غير أحياءٍ وما يشعرون أيان يبعثون ۞ إلهكم إلهٌ واحدٌ فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ۞ لا جرم أن اللّه يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحبُّ المستكبرين ﴾ [النحل : ١٧-٢٣] .

● ويعقب القرآن الكريم على آية الاستجابة بآية عظيمة لإحقاق الحق، وليتذكر أولو الألباب، يقول عز من قائل كريم: ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ﴾ [الرعد: ١٩].

● إن المقابل لمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ليس إلا شيءٌ واحدٌ بغير مبالغة ولا مواربة، المقابل هو العمى، والعمى: هو الذي ينشئ الجهل بهذه الحقيقة الكبرى الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، والناس إزاء هذه الحقيقة فريقان، مُبصرون: فهم يعلمون – ويُخلصون لله دينهم – وعُمْيٌ لا يعلمون، والعمى عمى البصيرة واستغلاق القلوب: ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ [المطففين: ١٤].

● **والخلاصة**: أنّ توحيد الله، عز وجل، في ذاته وصفاته وأسمائه، وإفراده بالعبادة هو قاعدة الدين الراسخة التي لا يسبقها عمل، ولا يقوم بناءٌ ولا يتحقق إيمان إلا بتحقيقها، أي براءة من كل زور وباطل ووثنية تقديس الموتى ممن يسمونهم بالأولياء: ﴿ وهم عن دعائهم غافلون ﴾ [الأحقاف: ٥]، وبراءة من كل طاغوت يصدّ عن دين الله، واتباع الهوى والعادات والوراثات.

● **والتوحيد**: هو دعوة الله التي أرسِلَ بها صلى الله عليه وسلم وواجه بها صناديد قريش – للأمة كلها – يوم جاءوا يفاوضون عمه أبا طالب بغية إصلاح ما بينه وبينهم، فقال لهم صلى الله عليه وسلم: " كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم: تقولون: لا إله إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دونه ". وكان مفهوم كلمة التوحيد من الوضوح في أذهان زعماء المشركين يومئذ بحيث لم يجدوا حاجة إلى أي جدل في شأنه صلى الله عليه وسلم. فهو لا يقبل منهم إلا الإسلام والبراءة من عبودية غير الله، عز وجل، وهكذا الرسل جميعًا مع أقوامهم. فعادٌ قوم هودٍ، عليه السلام، وقد دعاهم بدعوة الله وتوحيده فيقولون له: ﴿ أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ﴾ [الأعراف: ٧٠].

● إن التوحيد هو الولاء والعبودية الخالصة لله عز وجل: ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ● لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ [الأنعام: ١٦٣،١٦٢]، ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير ﴾ [الحج: ٦٢].

● إن التوحيد هو أوثق عهد مع الله ذي الجلال والإكرام: ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة: ٥]، قائم على تطهير القلوب والحياة.

وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله أجمعين.

أخسر الناس أعمالاً

كتبه أ. / محمد أحمد باشميل

أرسل الله سبحانه وتعالى محمدًا صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة بشيرًا ونذيرًا . فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وقد أكمل الله على يديه الدين . فقال عز من قائل : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا ﴾ [المائدة : ٣] ، ولم يمت صلى الله عليه وسلم حتى أخبرنا بكل ما يقربنا إلى الجنة ويبعدنا من النار . فقال صلى الله عليه وسلم ما تركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلا أمرتكم به . وما تركت من شيء يقربكم من النار إلا نهيتكم عنه ” .

وبالجملة فقد ترك لنا دينًا كاملاً من جميع نواحيه ، فبين لنا فيه الحلال والحرام ، ورسم لنا طريق الجنة ، وأرشدنا إلى الأعمال التي تسلك بصاحبها ذلك الطريق ، ورسم لنا طريق النار ، وحذرنا من الأعمال التي تفضي بصاحبها إلى سلوك ذلك الطريق .

وقد نبأنا الله ، سبحانه وتعالى ، على لسانه صلى الله عليه وسلم ؛ بأن أخسر الناس أعمالاً هم الذين يتقربون إلى الله بحركات وأذكار وطقوس ورقصات يظنون أنهم يعبدون الله بها ، وهي لم تأت في كتاب ولا سنة ؛ فقال الله في هؤلاء وأمثالهم : ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً * الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا * أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا ﴾ [الكهف : ١٠٣-١٠٥] .

وقد حذرنا صلى الله عليه وسلم من عبادة الله بغير ما جاءت به النبوة ؛ لأن عبادة الله بغير ما جاءت به النبوة تعد زيادة في الدين ، والدين ليس في حاجة إلى زيادة ؛ لأنَّ الله قد أكمله على يدي نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعابد الله بغير ما جاء في الكتاب والسنة يعد متهمًا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، إما بالكتمان ، وإما بالنسيان ؛ وهذا مستحيل في حقه صلى الله عليه وسلم .

لقد كان الصحابة ، رضي الله عنهم ، يعملون بهدي النبي صلى الله عليه وسلم لا يحيدون قيد شعرة عن الطريق الذي رسمه لهم ، فهم يصلون كما يصلي ، ويصومون كما يصوم ، ويذكرون الله بالصيغة التي يذكر بها ربه ، وعلى النحو الذي رأوه ينحوه لا يزيدون على ما فعله أو أمر به .

وقد وقفوا بعد موته ، رضي الله عنهم ، حراسًا على دين الله القويم من تسرب البدع الشركية وغيرها ، ساهرين على حماية جناب التوحيد ، لا يسمحون لأي قول أو عمل بالانتساب إلى دين الإسلام ، ما دام هذا القول أو العمل لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أمر به .

وإذا رأوا أحدًا عمل عملاً من هذا النوع زجروه وضربوا على يده ورموا به في وجهه ، وأفهموه أن الدين كامل لا يحتاج إلى زيادة ، وقرءوا عليه قوله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ الآية [المائدة : ٣] ، وذلك خوفًا على معالم الدين القويم أن تتغير أو تتبدل .

مر أمير المؤمنين – حامي حمى التوحيد – عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، بقوم يصلون تحت شجرة

الرضوان ، وهذه الشجرة مشهورة اهتزت تحتها السيوف في أغمادها عندما بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه تحتها بيعة الرضوان المشهورة ، تلك التي بايعه أصحابه فيها على الموت عندما أرجف المرجفون بقتل مشركي قريش لعثمان بن عفان، رضي الله عنه ، عندما بعثه صلى الله عليه وسلم سفيرًا إليهم للمفاوضة ، وذلك قبل فتح مكة .

مر أمير المؤمنين بالقوم وهم يصلون ، فقال : ماذا تصنعون أيها القوم ؟ فقالوا : نصلي يا أمير المؤمنين ، فقال : أمسجد هذا ؟ قالوا : لا ؛ وإنما نصلي تحتها تبركًا بها ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم وقف تحتها وبايع أصحابه بيعة الرضوان ، ونحن إنما نصلي لله وعلى سبيل التبرك ، فقال أمير المؤمنين لهؤلاء المصلين وقد علاه الغضب : أتريدون أن تحيوا ذكرى الجاهلية ؟ من عاد إلى مثل هذا ضربت عنقه ، أو كما قال ، ثم أمر ، رضي الله عنه ، بقطع تلك الشجرة من أصلها ، وكب على عروقها النفط ، لئلا تحيا ثانيًا وتكون سببًا في إشراك الناس .

ويعجبني قول حافظ إبراهيم في عُمريته :

وسرحة في سماء السرح قد رفعت
بيعة المصطفى من رأسها تيها
أزلتها حين غالوا في الطواف بها
وكان تطوافهم للدين تشويها

هكذا اعتبر أمير المؤمنين الصلاة تحت شجرة الرضوان على سبيل التبرك تشويهًا للدين وإحياء لذكرى الجاهلية وأمر بقطعها ، كيف لا وهو حامي الإسلام .

لقد كان هذا الصحابي الجليل أشد الناس حماية لجناب التوحيد .

خاطب الحجر الأسود يومًا عند استلامه إياه قائلاً : والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك لما قبلتك . فانظر إلى ما يفعله الناس اليوم ؛ إنهم في جميع أنحاء العالم الإسلامي يتبركون بالأحجار والأشجار ويعتقدون في غير الله القدرة على النفع والضر ، ويشدون الرحال إلى القباب والقبور - يطلبون من سكانها الذين لو كانوا يقدرون على شيء لدرءوا عن أنفسهم الموت ، يطلبون من أولئك كشف الكربات ونزول البركات وشفاء المرضى وعطاء الذرية متحدين بذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تُشد الرحالُ إلاَّ إلى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » - رامين بقوله تعالى : ﴿ والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ﴾ [فاطر : ١٣] ، وما في معناها من الآيات ، عرض الحائط .

أين أنت يابن الخطاب لترى ما يفعله الناس اليوم من رقصات جنونية وحركات بهلوانية وضوضاء مشينة في بيوت الله يقال لها حضرات وتعد في نظر فاعليها من ذكر الله ، وهي ليست من الذكر في شيء ؛ بل حتى ولا من الغناء في شيء ، ولا يرضى بالانخراط في حلقات تلك الحضرات إلا نزلاء مستشفى المجانين ، تلك الحضرات التي لا تطرب إلا فاعليها والشيطان الذي هو بمثابة القائد العام لتلك الصفوف المتراصة .

أين أنت يابن الخطاب لترى هذا التفرق المخزي المحزن الذي طرأ على أمة محمد في دينهم .

لقد رسم كل دجال لنفسه طريقة ودعا الناس إلى اتباعها ، فتفرق الناس في دين الله شيعًا وأحزابًا وجعلوا كتاب الله وسنة رسوله في المرتبة الثانية بعد شطحات شيوخهم وضلالاتهم ، وكل أصحاب طريقة يرون أنهم الوحيدون على الحق : ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء ﴾ [الأنعام : ١٥٩] .

وارحمتاه للمسلمين تركوا العمل بكتاب الله وسنة رسوله ولجئوا إلى الأباطيل والبدع وتفرقوا في دين الله فرقًا وشيعًا ، وجعلوا أناشيد شيوخهم الركيكة وعباراتهم الغامضة وأورادهم المخترعة دستورًا يرجعون إليه ، وقانونًا يحتكمون إليه .

لا يذكرون في مجالسهم الوبيئة إلا أولئك الأشياخ الضالين المضلين الذين رسموا لناقصي العقول طرقًا وعرة بسببها تردى المسلمون في هوة سحيقة لا يزالون حتى اليوم يتخبطون في فجواتها المخيفة .

لقد جر هذا الافتراق الذي أحدثه أصحاب الطرق الضالة جواسيس أعداء الإسلام في ذلك الزمان الخراب والدمار على العالم الإسلامي وما ينتظر أصحاب الطرق الضالة ومتبعيهم من عذاب ونكال في الآخرة هو أدهى وأمر ، إذ إن مأواهم النار بدليل ما رواه البخاري في “ صحيحه ” أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : “ ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا ملة واحدة ” ، قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال : “ هم الذين على ما أنا عليه وأصحابي اليوم ” ، ومعلوم أن رقصات أصحاب الطرق وأذكارهم وأهازيجهم وبدعهم لم يكن منها شيء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أمر بها ولا فعل أصحابه شيئًا منها ، وهكذا فإن من عبد الله بشيء على غير ما جاءت به النبوة فهو من أصحاب النار بدليل الحديث ؛ ولقد حذرنا صلى الله عليه وسلم من هذه الطرق الضالة ، فقال : “ إنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ” ، أي طرقًا كثيرة ، “ فعليكم بسنتي ” أي طريقتي “ وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ” . رواه النسائي وأبو داود.

أي والله بأبي وأمي أنت يا رسول الله ، لقد صدقت وأنت أصدق الصادقين ، إننا نرى اليوم اختلافًا كبيرًا وافتراقًا كثيرًا في دين الإسلام الذي أتيتنا به كاملاً ، وما ذلك إلا مصداقًا لقولك يا سيد الأولين والآخرين ، صلى الله عليك وعلى آلك وسلم .

أيها الناس من أراد النجاة من الغرق في محيط الفرق الضالة المضلة فليركب سفينة النجاة التي ركبها أنصار السنة المحمدية ، تلك السفينة التي تتكسر على حيزومها وجنباتها أمواج الباطل ، ويرفرف على مقدمتها علم التوحيد الصحيح ، تلك السفينة التي ترتاد المحيطات المظلمة المتلاطمة بأمواج الأباطيل ، باحثة عن ضحايا أصحاب الطرق الضالة محاولة إنقاذ من يمكن إنقاذه من الغرق في تلك المحيطات .

أيها الناس من أراد الورود على حوض النبي صلى الله عليه وسلم والظفر بشفاعته فليتبع كتاب الله وسنة رسوله وسنة الخلفاء الراشدين من بعده ، وليرم بأقوال غيرهم عرض الحائط ؛ لأن كتاب الله وسنة رسوله حجة على الناس ، وليس عمل الناس حجة على كتاب الله وسنة رسوله ، فمن قال قولاً يخالف كتاب الله وسنة رسوله فارموا به في وجهه كائنًا من كان ، ولو رأيتموه يمشي على الماء أو يطير في الهواء : ﴿ هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب ﴾ [إبراهيم : ٥٢] ، ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ [الحشر : ٧] ، ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [آل عمران : ٣١] ، ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا ﴾ [النساء : ٦٥] ، ﴿ قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو ﴾ [الأعراف : ١٥٨] ، ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظًا ﴾ [النساء : ٨٠] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : “ لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به ”(١) .

---

(١) ضعفه الألباني .

إن القرآن الكريم يأمرنا باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وحده ، لأنه المبلغ الوحيد عن ربه . وبموته انقطع الوحي وانقطع اتصال الأرض بالسماء فيما يختص بالأمر والنهي ، وهكذا فإنه لا تشريع في هذا الدين بعد الإكمال ، ومن قال بغير ذلك فقد ألحد وافترى على الله إثمًا مبينًا .

أما الذين رسموا لمريديهم طقوسًا وأورادًا وحركات تخالف الكتاب والسنة زاعمين زورًا وبهتانًا أنهم أخذوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته أو أخذوها عن اللوح المحفوظ ، فهؤلاء ومن صدقهم شر خلق الله ؛ لأنهم يفترون على الله الكذب ويتحدون بضلالاتهم هذه القرآن الكريم ، وتعد ادعاءاتهم الباطلة تكذيبًا صريحًا للقرآن الكريم ، والمكذب للقرآن كافر جاحد .

وكذلك الذين زعموا في أشعارهم الركيكة التي يترنم بها ضحايا إلحادهم صباحًا ومساء أن مشايخهم يحضرون بسرعة عندما يهتف مكروب باسم واحد منهم ، فهؤلاء والمصدقون لهم مشركون برب العزة ومأواهم النار وبئس القرار .

وأما الذين يتقربون إلى الله ببدع ويزعمون أنها حسنة فيخرسهم قوله صلى الله عليه وسلم : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » .

وقد كفانا مهمة الرد على هؤلاء المبتدعة الإمام مالك بن أنس ، رحمه الله ، حيث قال : من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة .

والبدعة التي تحبط عمل صاحبها وفاعلها هي الحدث في الدين بعد الإكمال ، لقد كان الصحابة ، رضي الله عنهم ، جد حريصين على تطهير دين الإسلام من البدع .

دخل عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه ، على قوم في المسجد ، فرأى بينهم رجلاً يقول لهم : سبحوا الله كذا وكذا ، احمدوا الله كذا وكذا ، فقال هذا الصحابي الجليل مستنكرًا ذلك : لقد جئتم ببدعة ظلمًا ، أو فقتم محمدًا وأصحابه علمًا ، إن عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه ، لم ينكر التسبيح والتحميد في حد ذاته ، وإنما أنكر تحديده بكذا وكذا ، كما أنكر الصورة التي كانوا يذكرون الله بها ؛ لأنها بدعة لم تكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وارحمتاه للمسلمين ، أين هذا الصحابي الجليل من زماننا هذا الذي يوجد فيه من يمنح الجنة في مقابل ألف تسبيحة أو نحوها .

رحماك يا رب ، إن العالم الإسلامي اليوم في حالة خطرة من الاضطراب والانحلال مفكك العرى ذليل الجانب ، مفقود العزة ، مسلوب الكرامة ، تتصارع على موارده وحوش الغرب ، ومن ينكر ذلك ، فهو معاند مغرور تخرسه مأساة فلسطين التي هي أكبر دليل على خور المسلمين وجبنهم وتفرقهم وتخاذلهم ، إن هذه المأساة قد سجلت على مسلمي القرن الرابع عشر العار والشنار ، وجعلتهم لا قيمة لهم بين الأمم .

أليست فلسطين اليوم تجود بنفسها لتلفظ النفس الأخير تحت أقدام عباد العجل القذرة الذين لا يزيد عددهم في فلسطين على سبعمائة ألف ، على مرأى ومسمع من أربعمائة مليون مسلم !!

أي ذل هذا ، وأي فضيحة هذه ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، كيف يكون هذا ؟ نعم يكون هذا ؛ لأن المسلمين تركوا العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، واتبعوا الطرق الضالة فضلوا ، وسلط الله عليهم أذل الناس وأحقرهم : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ [الرعد : ١١] ، ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾ [الحج : ٤٠] .

اللهم تدارك العالم الإسلامي واهده إلى العمل بكتابك وسنة رسولك ، إنك على كل شيء قدير .

مناظرة

في رفع اليدين في تكبيرات الجنازة

فضيلة الشيخ

وحيد بن عبد السلام بالي

قضية رفع اليدين مع تكبيرات الجنازة من القضايا الخلافية، وقد كنت قديمًا أقول بعدم الرفع استدلالاً بحديث ابن عباس: أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كان يرفع يديه على الجنازة في أول تكبيرة ثم لا يعود، ثم تبين لي ضعفه، فبحثت الموضوع بشيء من الاستقصاء، ثم اختصرته في هذه المناظرة، وهذه الطريقة استقيتها من كتب شيخ شيوخنا الشيخ عبد الرحمن السعدي، رحمه اللّه، ومن قبله ابن القيم، رحمه اللّه.

والمناظرة هاكم نصها:

● **قال أبو الفضل:** الأولى للمسلم أن يرفع يديه مع تكبيرات الجنازة، لأن ذلك وارد عن بعض الصحابة، رضوان اللّه عليهم، والعمل بقول الصحابي عند عدم وجود الدليل المرفوع أولى من الأخذ بالرأي، لا سيما إذا لم يعارضه قول صحابي آخر.

○ **قال أبو المجد:** بل الأولى للمسلم أن لا يرفع يديه مع تكبيرات الجنازة إلا مع التكبيرة الأولى فقط، ثم يضع اليمنى على اليسرى ولا يرفع يديه بعد.

● **قال أبو الفضل:** وهل هناك دليل على ذلك يا أخي؟

○ **قال أبو المجد:** نعم هناك دليلان مرفوعان، وآخران موقوفان.

● **قال أبو الفضل:** هات هذه الأدلة.

○ **قال أبو المجد:** أولاً: حديث أبي هريرة، رضي اللّه عنه، الذي رواه الترمذي وغيره أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كبَّر على جنازة فرفع يديه في أول تكبيرة ووضع يده اليمنى على اليسرى.

فهذا دليل صريح على عدم الرفع فيما عدا التكبيرة الأولى.

● **قال أبو الفضل:** نعم هو صريح في عدم الرفع كما ذكرت إن صح إسناده، ولكن إسناده ضعيف جدًا لا تقوم به حجة.

○ **قال أبو المجد:** وما سبب ضعفه؟

● **قال أبو الفضل:** هذا الحديث أخرجه الترمذي (٣٨٨/٣ شاكر)، والدارقطني (٧٥/٢)، والبيهقي

(٣٨/٤) من طريق يحيى بن يعلى، عن يزيد بن سنان، عن زيد بن أبي أُنيسة، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة به.

وهذا إسناد ضعيف جدًا فيه ثلاث علل:

- الأولى: يحيى بن يعلى الأسلمي ضعيف.
- الثانية: يزيد بن سنان التميمي ضعيف.
- الثالثة: الاضطراب، فإنه قد روي على ثلاثة أوجه:
- الوجه الأول: يحيى بن يعلى عن يزيد بن سنان عن زيد بن أبي أنيسة عن الزهري به، وهذا الوجه رواه الترمذي (١٠٧٧)، والدارقطني (٧٥/٢)، والبيهقي (٣٨/٤).
- الوجه الثاني: يحيى بن يعلى عن يزيد بن سنان عن الزهري به؛ أخرجه الدارقطني (٧٤/٢)، وابن عدي (٢٧١/٧)، فأسقط زيد بن أبي أنيسة.
- الوجه الثالث: يحيى بن يعلى عن يونس بن خباب عن الزهري به، ذكره المزي في "التحفة" (٩/١٠)، ورواه أبو الشيخ في "طبقات المحدثين بأصبهان" (٢٥٨/٤) من هذا الطريق، فتبين لك الآن أن الحديث ضعيف جدًا لا تقوم به حجة في الفضائل، فضلاً عن الأحكام التي نحن بصددها.

○ **قال أبو المجد:** جزاك الله خيرًا يا شيخ، لقد أوقفتني على علل عزيزة في هذا الحديث، ولكن تتوقع ممن يكون هذا الاضطراب في الإسناد؟

● **قال أبو الفضل:** الظاهر، والله أعلم، أن يكون الاضطراب من يحيى بن يعلى الأسلمي؛ لأن البخاري، رحمه الله، قال فيه: مضطرب الحديث، وقال البزار، رحمه الله: يغلط في الأسانيد.

قلت: فلعل هذا من أغلاطه.

○ **قال أبو المجد:** هل تسمح لي يا شيخ أن أسرد لك باقي الأدلة.

● **قال أبو الفضل:** تفضل يا أخي الكريم، بارك الله فيك.

○ **قال أبو المجد:** ما جاء عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه على الجنازة في أول تكبيرة، ثم لا يعود. رواه الدارقطني (٧٥،٢).

● **قال أبو الفضل:** هذا الحديث رواه الدارقطني (٧٥/٢)، والعقيلي (٤٤٩/٣) من طريق الفضل بن السكن الكوفي، حدثنا هشام بن يوسف عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس به. وهذا إسناد ضعيف فيه علتان:

- **الأولى :** الفضل بن السكن مجهول ، قال عنه الذهبي في « الميزان » (٣/٣٥٢) : لا يعرف ، وضعفه الدارقطني .

- **الثانية :** الاضطراب بين الرفع والوقف ، فقد جاء على وجهين :

- **الوجه الأول :** الفضل بن السكن الكوفي ، حدثنا هشام بن يوسف ، عن معمر ، عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس (مرفوعًا) عند الدارقطني (٢/٧٥) والعقيلي (٣/٤٤٩) .

- **الوجه الثاني :** إبراهيم بن موسى الفراء عن هشام بن يوسف عن معمر عن بعض أصحابه عن ابن عباس من فعله (موقوفًا) .

هكذا رواه العقيلي (٣/٤٤٩) ، وهو عند عبد الرزاق (٣/٤٧٠) عن معمر به سواء .

فالحديث ضعيف لا تقوم به حجة ، ولذلك ضعفه الحافظ في « التلخيص الحبير » (٢/٢٩١) ، ومن هنا يتبين لنا أنه لم يصح حديث مرفوع إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه كان لا يرفع يديه في تكبيرات الجنازة .

○ **قال أبو المجد :** قد جاء عن ابن مسعود ، رضي الله عنه ، أنه كان يرفع يديه في التكبيرة الأولى في الجنازة ثم لا يرفع بعد .

وعبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه ، من فقهاء الصحابة ، فالأخذ بفعله أولى من العمل بالرأي ، فماذا تقول في ذلك ؟

● **قال أبو الفضل :** نعم ؛ العمل بقول الصحابي أولى من العمل بالرأي المحض ؛ لأنهم أعلم منا بالتنزيل وبالأحكام وبلغة العرب فضلاً عن معاشرتهم للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، في حَلِّه وتَرْحَالِه . ولكن هل صح ذلك عن ابن مسعود ؟

○ **قال أبو المجد :** لا أدري .

● **قال أبو الفضل :** هذا الأثر رواه عبد الرزاق في « مصنفه » (٣/٤٧٠) عن معمر قال : بلغه ذلك عن ابن مسعود ، رضي الله عنه ، فهذا إسناد ضعيف . منقطع بين معمر وابن مسعود كما ترى ، فلا يجوز حينئذ أن ننسبه إلى ابن مسعود حتى يصح إسناده إليه ، والله المستعان .

○ **قال أبو المجد :** وماذا تقول - بارك الله فيك - فيما يُعزى إلى عبد الله بن عباس ، رضي الله عنه ، أنه كان يرفع يديه في التكبيرة الأولى ثم لا يرفع بعد ؟

● **قال أبو الفضل :** اعلم يا أخي - علمك الله ما ينفعك - أن القول في هذا الأثر كالقول في سابقه ، فقد رواه عبد الرزاق ، رحمه الله ، في « المصنف » (٣/٤٧٠) عن معمر عن بعض أصحابنا أن ابن عباس كان يرفع يديه في التكبيرة الأولى ثم لا يرفع بعد .

[٦٢] التوحيد ع السنة السادسة والعشرون العدد الثالث

وهذا إسناد ضعيف لجهالة أصحاب معمر كما هو واضح من الإسناد المذكور . فلا يجوز أيضًا أن ننسبه إلى عبد الله بن عباس إلاَّ بعد التيقن من صحته ، ومن هنا يتبين لنا أنه لم يصح عن أحد من أصحاب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في عدم الرفع شيء .

● **قال أبو الفضل :** ولكن قد صح عن بعض أصحاب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنهم كانوا يرفعون أيديهم مع تكبيرات الجنازة .

○ **قال أبو المجد :** ثبت عمن من الصحابة ؟

● **قال أبو الفضل :** أولاً : عن الصحابي الجليل عبد الله بن عمر ، رضي الله عنهما ، فقد روى ابن أبي شيبة (٢/٤٩٠) ، والبخاري في « رفع اليدين » (رقم ١١٠) ، وابن المنذر في « الأوسط » (٥/٤٢٦) ، والبيهقي في « الكبرى » (٤/٤٤) من طريق نافع عن ابن عمر أنه كان يرفع يديه في كل تكبيرة على الجنازة .

وإسناده صحيح ، وذكره البخاري في ((صحيحه)) معلقًا بصيغة الجزم (٣/٢٢٦ فتح / ريان) .

ثانيًا : الصحابي الجليل عبد الله بن عباس ، رضي الله عنهما ، قال الحافظ في « التلخيص » (٢/٢٩١) : وقد صح عن ابن عباس أنه كان يرفع يديه في تكبيرات الجنازة ، ورواه سعيد بن منصور . ا.هـ .

قُلْتُ : ولأن « سنن » سعيد بن منصور مفقودة – إلا الجزء المطبوع وهو قليل – فسوف نعتمد كلام الحافظ على الإسناد فهو من الأئمة في هذا الشأن ، والله المستعان .

ثالثًا : يبدو أن رفع اليدين في تكبيرات الجنازة كان مشهورًا عند أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ويدلك على ذلك صنيع الإمام أبي عيسى الترمذي ، رحمه الله ، في « سننه » ، حيث قال (٣/٣٨٨) : واختلف أهل العلم في هذا ، فرأى أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وغيرهم ، أن يرفع الرجل يديه في تكبيره على الجنازة ، وهو قول ابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق .

وقال بعض أهل العلم : لا يرفع يديه إلاَّ في أول مرة ، وهو قول الثوري وأهل الكوفة . ا.هـ .

○ **قال أبو المجد :** يبدو أن رفع اليدين في تكبيرات الجنازة هو قول جمهور أهل العلم .

● **قال أبو الفضل :** أجل هو كذلك .

○ **قال أبو المجد :** هل يمكن أن تجمل لنا من أخذ بهذا القول من أهل العلم من الصحابة وغيرهم ؟

● **قال أبو الفضل :** سوف أذكر لك من أعلمه منهم :

١- عبد اللّه بن عمر ، رضي اللّه عنهما .
٢- عبد اللّه بن عباس ، رضي اللّه عنهما .
٣- قيس بن أبي حازم ، رحمه اللّه .
٤- نافع بن جبير ، رحمه اللّه .
٥- موسى بن نعيم ، رحمه اللّه .
٦- محمد بن سيرين ، رحمه اللّه .
٧- الحسن البصري ، رحمه اللّه .
٨- عطاء بن أبي رباح ، رحمه اللّه .
٩- مكحول الشامي ، رحمه اللّه .
١٠- ابن شهاب الزهري ، رحمه اللّه .
١١- الإمام مالك ، رحمه اللّه .
١٢- الإمام الشافعي ، رحمه اللّه .
١٣- الإمام أحمد ، رحمه اللّه .
١٤- داود بن علي الظاهري ، رحمه اللّه .
١٥- عبد اللّه بن المبارك ، رحمه اللّه .
١٦- إسحاق بن راهويه ، رحمه اللّه .

○ **قال أبو المجد :** علمك اللّه كما علمتني ، وفهمك اللّه كما فهمتني ، وجزاك اللّه عني خيرا .

نعم ؛ الأولى أن نأخذ بما ثبت عن بعض أصحاب النبي صلى اللّه عليه وسلم ، وعن جمهور أهل العلم ، ونرفع أيدينا مع تكبيرات الجنائز .

○ **قال أبو المجد :** ولكن يبدو أنك تقول بحجية قول الصحابي . وهذا القول فيه ما فيه .

● **قال أبو الفضل :** هذه مسألة يطول النقاش فيها ، ولكن في مسألتنا هذه نأخذ بقول الصحابي لأمور :

١- أن ابن عمر وابن عباس لم يوجد لهما معارض من الصحابة الآخرين - فيما نعلم - فكان إجماعا سكوتيا ؛ لأن الصحابة لا يقرون المنكر والباطل ، لا سيما في العبادات .

٢- أن الصحابة رافقوا النبي ، صلى اللّه عليه وسلم ، وسمعوا أقواله وأفعاله وتقريراته وأحكامه ، فكانوا بذلك أعرف الأمة بربها ، وأعلم الناس بكتاب اللّه وسنة نبيه صلى اللّه عليه وسلم ، وهم أكثر الناس إخلاصا وحرصا على الخير .

فالأخذ بقولهم أولى من الأخذ بقول غيرهم .

٣- أن فعل الصحابي الجليل عبد اللّه بن عمر له مزية خاصة لما عُرف عنه من شدة التحري في اتباع السنة كما هو معروف عند علماء الحديث وغيرهم .

وقد ثبت عنه - كما مر - أنه كان يرفع يديه مع تكبيرات الجنازة ، فيبعد جدًا - والحالة هذه - أن يكون عبد اللّه بن عمر قد استحسن ذلك من قبل نفسه ، بل الغالب على الظن - إن لم يكن اليقين - أن يكون ابن عمر قد رأى النبي ، صلى اللّه عليه وسلم ، يرفع فرفع .

واللّه المستعان

كتبه

وحيد بن عبد السلام بالي

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية/العاشر من رمضان/المنطقة الصناعية ب٢ تليفاكس : ٣٦٢٣١٣ - ٣٦٢٣١٤ .

من أخبار الجماعة

سافر إلى البحرين فضيلة الشيخ / محمد صفوت نور الدين الرئيس العام ، ويرافقه فضيلة الأستاذ / جمال سعد حاتم سكرتير تحرير مجلة التوحيد ، في زيارة بدعوة كريمة من فضيلة الشيخ / أحمد جبارة الرميحي رئيس مجلس إدارة جمعية الرفاع الخيري بالبحرين .

وسوف يقوم فضيلته بإلقاء عدة محاضرات ، وحضور عدة ندوات ، كما يجري فضيلته عدة لقاءات هامة وبعض لقاء لمجلة التوحيد .

وأسرة التحرير تتمنى لهم من اللَّه العون والسدد والعودة بسلامة اللَّه .

أسرة التحرير

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥هـ ١٩٢٦م

ومن أهدافها:

١- الدعوة إلى التوحيد الخالص من جميع الشوائب، وإلى حب الله تعالى حبا صحيحا صادقا يتمثل فى طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبا صحيحا صادقا يتمثل فى الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

٢- الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين القرآن والسنة الصحيحة- ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

٣- الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدة وعملا وخلقا.

٤- الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم والحكم بما أنزل الله فكل مشرع غيره -فى أى شأن من شئون الحياة- معتد عليه سبحانه، منازع إياه فى حقوقه.

تلقى بدار المركز العام للجماعة محاضرات دينية مساء الأحد والأربعاء من كل أسبوع